20 me. année No 968

Le Caire 21-1-1952

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مصـ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩٦٨ «القاهرة فى يوم الاثنين ٢٣ ربيع الآخر سنة ١٣٧١ — ٢١ يناير سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

نار .. ودم

للأستاذ سيد قطب

الحمد لله الذى بدل قضية هذا الوادى من قضية محادثات ومفاوضات ذليلة مهينة .. إلى قضية نار ودم و كفاح أبى عزيز ..

الحمد لله الذى بدل هذه القضية من قضية معاهدة أو محالفة أو دفاع مشترك .. إلى قضية عداء صريح جاهر للاستعمار وقراصنة الاستعمار ..

الحمد لله الذى أخرج هذه القضية من أيدي نفر قليل من السياسيين والدبلوماسيين والمستوزرين والرأسماليين .. إلى أيدى الملايين من شعب الوادى ، أصحاب البلد الحقيقيين !

الحمد لله ، الذى سخر روبرتسون وارسكين وأكسهام ، لكى يحرقوا مراكبهم مع هذا الشعب ، ويركبوا رءوسهم على هذا النحو ، ويرتكبوا الحماقة التى أخرجتهم من أمريكا ، وأخرجتهم من الهند ، وستخرجهم بإذن الله قريبا من كل شبر من الأرض ، دنسته أقدام القراصنة النجسة ..

اليوم قد قضى الأمر ، وتأرثت الثارات والأحقاد بين هذا الشعب وبين القراصنة ، فالهم لا سلم بعد اليوم مع هؤلاء الصعاليك : ولا معاهدة بعد اليوم مع الفجار ، ولا تحالف بعد اليوم مع الأعداء .. ولا شئ إلا الكفاح الدامى ، وإلا الدماء والنار ، بيننا وبين الأوغاد

اليوم قد قضى الأمر ، وقطع الدم المهراق كل قنطرة وكل جسر ، يمكن أن تقام عليه صلة ما ، بين الوادى وجلاديه .. فالهم لا همسة ولا نأمة بعد اليوم تتحدث عن الصداقة ، أو تتحدث عن التحالف . اللهم لا رجل ولا شبه رجل من أهل هذا الوادى يلوك شدقاه كلمة واحدة عن الجبهة الغربية ، إلا أن تكون كلمة من نار ودم ، وإلا أن تكون رصاصة موجهة إلى معسكر القرصان

إن الذى يلوك شدقاه بعد تلك المجازر الهمجية التى يقيمها الأوغاد لأهل البلاد .. الذى يلوك شدقاه كلمة واحدة عن أية صلة ، من أى نوع ، تربطنا بمعسكر الهمج الغربيين ، لهو رجل لا عرض له ، ورجل لا كرامة له ، ورجل لا نخوة له .. وحاشا أن يستمع هذا الشعب النبيل لمن لا أعراض لهم ولا نخوة ولا كرامة

لقد دارت عجلة الزمن — وإنها لتدور سريعة عنيفة فى هذه الأيام — دارت فطوت كل فرصة كانت متاحة لعباد الإنجليز أو لعباد الغرب على العموم .. لقد ذهبت إلى الأبد كل محاولة لربطنا بمعسكر الغرب المتبربر .. لقد انتهى كل شئ ، فلا مجال لغير الرصاص والدماء . لا مجال لغير الثأر المقدس ، لا مجال لغير الجهاد والكفاح

أما من شاء أن يرتد إلى عهود المفاوضة والمسالمة والمهادنة والمحالفة .. من شاء أن يرتد إلى تلك العهود التي طوتها عجلة الزمن السيارة . وفاتتها عجلة الحوادث التي لا تتوقف .. من شاء شيئا من هذا ، فليبحث له عن بلد غير هذا البلد ، وعن شعب غير هذا الشعب ، وعن وطن غير هذا الوطن .. فما عاد من هذا الوادي وأهله ، من يملك شدقاه الدوران ، ليتحدث عن شيء طواه الزمن وغشاه النسيان !

لا صداقة بعد اليوم للانجليز . فليسمع أصدقاء الانجليز .. ولا مهادنة بعد اليوم للاستعمار .. فليسمع من يربطون وجودهم بوجود الاستعمار .. مجرد الحديث عن الهدنة بيننا وبين الانجليز جريمة . مجرد التفكير في أن يضمنا ويضمهم معسكر واحد خيانة . مجرد المحاولة لإطفاء النار المؤججة بيننا وبينهم طعنة من الخلف للفدائيين والشهداء الأبرار

فليخرج الانجليز من بلادنا ، وليخرج معهم كل من لا تعجبه هذه الحالة . ليرحل عن هذا الوطن كل من يفكر في عقد صلة بيننا وبين الانجليز من جديد .. إن الشعب سيسقط اعتبار كل من يرفع رأسه ويحرك شدقه ليقول في هذا كلمة واحدة . إن الشعب سيسحق هذه المخلوقات الشائهة القليلة ، والتي لا يثير نخوتها عرض يهتك ، أو دم يهرق ، أو جريمة شنعاء ، مما يرتكبه القراصنة كل يوم في ضفة القنال .

ولا يحسبن أحد أنه أقوى من هذا الشعب ، ولا أكبر من هذا الشعب ، ولا أرفع من هذا الشعب ، ولا أعلى من هذا الشعب . ولا يحسبن أحد أنه من الدهاء بحيث يخدع هذا الشعب عن أهدافه الواضحة المرسومة ، ولا أنه من الحيلة بحيث يصرف هذا الشعب عن ثاراته المقدسة ، ولا من القوى بحيث يقف في وجه التيار .

إن الغرور وحده هو الذي يصور لفرد أو عشرات من الأفراد أو مئات .. أنهم قادرون على أن يحولوا الدماء ماء ، والنار بردا وسلاما ، وعلى أن يصلوا مرة أخرى بين الشعب وجلاديه ، وعلى أن ينسوا هذا الشعب دماء أبنائه الأطهار ، وقد كاد أن يكون في كل بيت ثأر ، وفي كل قلب جرح .. هيهات هيهات ! لقد فات الأوان !

لقد سخر الله روبرتسون ، وأرسكين ، وأكسهام .. ومن إليهم .. سخرهم ليحطموا ما بقي من بناء الإمبراطورية التي حطمتها الشيخوخة . . سخرهم ليوقدوا نار الأحقاد المقدسة في قلوب الشعوب حول ذلك الحطام الفاني . . سخرهم ليخربوا بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين . ولن يقوم بناء سخر الله أهله ليهدموه . ولن يعمر بيت سلط الله سكانه ليخربوه

ولقد كان الخوف أن يتروى القراصنة في معسكراتهم على ضفة القنال ؛ وأن تهبط حرارة الشعب حين لا تجد لها وقودا يغذيها ؛ ولكن الله غالب على أمره . وها هي ذي الأحداث تجبرهم إجبارا على الخروج من سياستهم المحصنة . وهاهم أولاء يوسعون نطاق القرصنة ، ويوسعون دائرة الجريمة . هاهم أولاء يصلون إلى التل الكبير . وغدا يسوقهم الله بأقدامهم إلى المجزرة حين ينتشرون في أراضي الشرقية الواسعة ، ويقعون في فخاخ الفدائيين على مساحات واسعة . . فاللهم سقهم إلينا بأقدامهم . اللهم زدهم حماقة على حماقة ! اللهم هيئ للفخاخ المنصوبة صيدا من أعدائك وأعداء الإنسانية ، وأعداء هذا الوادي . . !

* * *

وبعد فهنالك كلمة أخرى .. ومن كان له أذنان للسمع فليسمع .

لقد خاض الشعب معركة التحرير وحده حتى اليوم ، خاضها بالدماء والأرواح . وإن زهرة أبنائه ليتساقطون في ميدان الشرف غير هيابين . . فما هو دور السادة يا ترى ؟ أجل ما هو دور السادة الذين يكدح هذا الشعب كله لهم ، وينفق عصارة قلبه ودمه ليخرج لهم من الأرض ذهبا وفضة !

إن الشعب لا يطالب من أولئك المترفين المترهلين السادرين في لذائذهم أن يؤدوا ضريبة الدم لهذا الوادي كما يؤديها الكادحون الذين لا يملكون في هذا الوادي شيئا ! إنه لا يطالب إليهم أن يضحوا بدمائهم الغالية ! ولا أن يموتوا كما يموت الشهداء !

كلا ! كلا ! إن الأمر لأهون من هذا بكثير . إن هذا الشعب الطيب القلب ، المتواضع القانع . . لا يطلب إلى السادة إلا ضريبة المال . لا يطلب إلا أن يساهموا بتزويد الفدائيين

يا مصـــــر! ..

للأستاذ محمد البشير الإبراهيمي

أصدرت « البصائر » الغراء لسان حال العلماء المسلمين الجزائريين عددا خاصا بمصر افتتحه الأستاذ الجليل رئيس تحريرها بهذا المقال

نسميك يامصر بما سماك الله به في كتابه، فكفاك فخرا أن سماك بهذا الاسم الخالد الذي تبدلت أوضاع الكون ولم يتبدل، وتغيرت ملامح الأرض ولم يتغير؛ وحسبك تيهـا على أقطار الأرض أنه سماك ووصفها، فقال في فلسطين: « الأرض المقدسة » و « القرى التي باركنا فيها » وقال في أرض سبأ: « بلدة طيبة » ولم يسم إلا الطور وهو جبل، ومكة وهي مدينة، ويثرب وهي قرية. فتيهي وافخري بهذه اللامة التي كساكها الله، وخذي منها الفأل على أنك منه بعين عناية لا تنام، وبذمة رعاية لا تخفر، وبجوار أمن لا يخزى جاره . .

• • •

نأسى لك — يا مصر — أن أنزلتك الأقدار بهـذه المنزلة التي جلبت لك البلاء، وجرت عليك الشقاء؛ وأن حبتك هذا الجمال الذي جذب إليك خطـاب السوء من الأقوياء الطامعين، والقواد الفاتحين؛ وأن أجرى فيك هـذا الوادي العذب الذي كان فتنة الخيال البشري، فلم يقنع لمائه إلا بأن ينبطه من الجنة، وكان وثن القـدماء من ورائه فتقربوا إليه بالنـذور والقرابين؛ وكان طاغوى فرعون ذي الأوتاد، فحرك فيه نزعة الألوهيـة، فتوهم أن شـاطئيه الأخضرين هما نهـاية الـكون، وأنه كفاء لملك الله الطويل العريض؛ وأن وضعك من هـذا الـكوكب الأرضي في موضع الواسطة من القلادة، فتعلقت بك الأبصار حتى « كأن عليك من حـدق نطاقا »؛ وأن جعلك برزخا فاصلا بين الشرق والغرب، فكنت — على الدهر — مجـال احتراب بين الشرق والغرب. فصبرا يا مصر، فهـذا الذي تعانينه هو مغارم الجمال والشرف والسـاطة

• • •

سموك « عروس الشرق » فكأنما أغروا بك الخطـاب، وهجهجوا فيك لآسـاد الغلاب. وسموك « بمنارة الشرق » فلفتوا إليك الأعين الخزر، ولووا نحوك الأعناق الغلب؛ ولو دعوك « لبؤة الشرق » لأثاروا — بهذا الاسم — في النفوس معاني رهيبة، منها دق الأعناق وقصم الظهور وتزييل الأعضاء. وقديما سموا بغداد « دار السلام » فجنوا عليها وكأنما دلوا عليها المغيرين؛ ولو سموها دار الحرب لأوحى الاسم وحده ما تنخلع منه قلوب الطامعين، وتخنس له عزائمهم، وتتكسر لتصوره الجيوش اللجبة. فنفرا — يامصر — فما هذه الأسماء إلا من هيام الشعراء

• • •

ومازلت — منذ كنت — مهوى أفئدة الغزاة الفاتحين، فأخذوك اقتسـارا وصلحا، وحازوك طوعا وكرها، وما منهم إلا من مهرك المهر الغالي، وساق إليك الثمين المدخر، بما خلد فيك من آثاره، وبما خلف فيك من سمات قومـه ومعانيهم: حازك الاسكندر فخلد فيك الاسكندرية، وملـكك قمبيز فخلف فيك شيات من فخار فارس وخيلائها، وحل فيك بطليموس فخلف فيك أثرة من حكمة يونان؛ ودانت لك قياصرة الرومان فخلفوا فيك أثرا من عظمـة الرومان؛ وفتحك عمرو فمهرك بيان العرب كله، وهداية الإسلام كلها. فافخرا — يامصر — فهذه المخايل اللائحة على صفحاتك هي بقايا مهورك الغالية. وإن أثمنها قيمة — وحقك — وأثبتها أثرا، وأبقاها بقاء، وأشبهها بالسلاح والمال. لا يطلب إلا قسطا ممـا ينفق على موائد الخمر وسهرات الليل، وما يراق على أقدام الغواني من ثراء !

وما يمكن أن يمضي الشعب في كفاحه، وأن يريق في كل يوم دماءه وأرواحه، وهؤلاء السادة سادرون فيما هم فيه!

إن لـكل شيئا حدا. ومحال أن تسير الأمور على هذا النحو بلا نهاية.. فهي النصيحة الخالصة إذن نزجيها، قبل فوات الأوان!

إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد

سيد قطب

بشمائلك – لمهر عمرو ... فما زلت منذ تفيأت ظل الإسلام الظليل ، تجدين منه في كل داجية نجما ، ووراء كل داجية فجرا . وما زلت كلما شكوت ضرا في دينك يخف إليك من يكشفه ؛ وكلما شكوت ضرا في دنياك يخف إليك من يدفعه

خف إليك « جوهر » حين لحقتك علامة التأنث ، وتقلب على فراشك المبيد . وخف إليك « صلاح الدين » حين امتهن فيك الدين . وخف إليك « سليم » حين لعبت بك أهواء المماليك . وخف إليك « علي » حين تحكم فيك الصعاليك : تأخروا بركبك عن زمانك ، فألحقك بزمنك ، وبالقوافل السائرة من بني زمنك ، وأراد لك أن يكون محلك من الغرب أماما ، وأن تكوني من الشرق أما وأمة وإماما ، فما عابوك ، ولكنهم هابوك ، فنصبوا لك في كل حفرة عاثورا ، ووضعوا لك في كل فج فخا ، وأجمعوا على أن لا تكون لك جارية في بحر ، ولا سارية في بر ، فمن بعض ذلك كل ما تعانين

لئن كانت أزماتك في التاريخ كثيرة ، فكلها إلى انفراج عاجل . ومن المؤلم أن تطول بك المحنة في هذه الدورة من أدوار الفلك ، وأن تبتلي بخصم اثيم الخصومة والكيد ، عدها زمنه بالقوة والأيد ، وأن يستحل حرماتك غاصب غريب لا تجمعك به نسبة الشرق ، ولا يلتف منكما – إلى آدم – عرق بعرق ، فيجعل منك أداة لكيده ، وجارحة لصيده ، ومطية للصوصيته ، وطريقا لظلمه وظلامه ... فلو أن المسالك ، تشترك في الاجرام مع السالك – لكان لك شرك في كل ما حمل الانجليز من أوزار ، ولحملك العدل كفلا من مآثمهم في الشرقيين ... إذ لولا قناتك ما ثبتت له على أديم الشرق قدم . فليتك تماسرت بالأمس في حفر هذه القناة ! أو ليتك تصنعين بها اليوم ما صنع العرب بجناة ، فتوسعين هذه ردما ، كما أوسعوا تلك هدما ... حتى إذا ملكت أمرك حفرت ما يرويك ، لا مالا يرديك . وما فضل ماء استنبطته يداك ، لينتفع به عداك ؟ وما ذاد الأباة من الحياض إلا لتكون لهم وردا

* * *

لا توحشنك غربة ... إن مئات الملايين من القلوب رفافة على جنباتك ، حائمة على مواردك ، هائمة بحبك ، تقطع الآنات في التفكير فيك ، ولا تقطع الأنات من الامتعاض لك . وإن مئات الملايين من الألسنة رطبة بذكرك ، متحركة بحمدك ، ناطقة بفضلك ، متغنية بمحاسنك . وإن هذا لرأس مال عظيم ، لم تظفر به قبلك يدان ...

أنت اليوم مثابة العروبة ، في تراثك حيي بيانها ، وبعثت أفنانها ؛ وفي رياضك تفتحت أزهارها ، وغردت بلابلها . ففي ذمة كل عربي حر الدم لك دين واجب الوفاء ، وهذا أجل الوفاء

وأنت اليوم قبلة المسلمين ، يولون وجوههم إليك كلما حزبهم أمر ، أو حلت بهم معضلة ، وينفرون إلى معاهدك ، يمتارون العلم منها ، وإلى كتبك يستصحبون الفكر والرأي منها ، وإلى علمائك يتلقون الفتيا الفاصلة بين الدين والدنيا منهم . فلك – بذلك – على كل مسلم حق ، وهذا أوان الحاجة إليه

وأنت اليوم مأزر الإسلام ، فكلما سيم الهوان في قطر ، أو رماه زنديق بنقيصة ، فزع إليك واستجارك ، يلتمس الغوث ، ويستمد الدفاع . فلك على المسلمين في المشارق والمغارب فضل الحماية لدينهم ، وعليهم أن يطيروا خفافا وثقالا لنصرتك ، ثم لا منة لهم عليك ولا جميل

وكيف بك – مع هذا – لو كنت مظهرا للاسلام الصحيح ، ولمثله العليا في العقائد والأعمال والأحكام ؟ – إذن لكنت قدوة في إحياء سننه التي أماتتها البدع ، وفي إقامة أعلامه التي طمستها الجهالات ، وفي بعث آدابه التي غطت عليها سخافات الغرب ، وفي نشر هدايته التي طوتها الضلالات ؛ وإذن لحييت وأحييت . ومن الغريب أنك قادرة على تغيير ما بك منذ عهد الأدران ثم لم تفعلي ؛ وأنك قادرة على إعادة الإسلام إلى رسومه الأولى ثم لم تفعلي . ويمينا برة لو فعلت لما حل بك ما حل . ولو فعلت لقدت المسلمين بزمام ، ولكنت – بهم – للعالم كله إماما أي إمام

وسبحان من قسم الحظوظ بين الجماعات فأعطى كل جماعة حظا لا تعدوه ، وفرق الخصائص على البقاع فخص كل بقعة بسر لا يعدوها ، فما زلنا نستجلي من صنع الله لك وللاسلام لطيفة سماوية ، وهي أنه كلما رثت جدة الإسلام ، وخالطته الحدثات ، سطع في أفق من آفاقه نجم يهدي السارين إلى سوائه ، وارتفع صوت بالدعوة إلى أصول هدايته ، ثم لا يلبث ذلك النجم أن

يخبو ، وذلك الصوت أن يخفت ؟ إلا نجما سطع فى أفقك ، وصوتا ارتفع فى أرجائك . وقد ارتفعت أصوات بالإصلاح الدينى فى أقطار الإسلام ، وفى حقب معروفة من تاريخه ، فضاعت بين ضجيج المبطلين ، وعجيج الضالين ، إلا صوت « محمد عبده » فإنه اخترق الحدود وكسر السدود

عهدك التاريخ صخرة من معدن الحق ، تتكسر عليها أمواج الباطل ، فكونى أصلب مما كنت ، وأرسخ قواعد مما كنت ، تنحسر الأمواج وأنت أنت

أقدمت فصممى .. وبدأت فتممى ... وحذار من التراجع ، فان اسمه الصحيح «هزيمة» . وحذار من التردد، فإنه سوس العزيمة

إنك فائزة هذه المرة بأقصى المطلوب، لأنك أردت فصممت، وإنما يمين الله من مخلوقاته المصممين . وإذا كان المطلوب حقا ، وكان الطلب عدلا ، فأكبر الأعوان على نيله التصميم ، فصممى ثم صممى

إن قلبى يحدثنى حديثا كأنما استقاه من عين اليقين ؛ وهو أنك فائزة منتصرة ظافرة فى هذه المعركة ، لأنك استعملت فيها سلاحا كنت تنشدينه فلا تجدينه ، وهو الإرادة يحدوها التصميم، يمدها الإيمان بالحق ، يربط ثلاثتها الاجماع على الحق

إنك فائزة فى هذا اليوم بالأمنية التى عملت لها قرونا ، وإن فوزك فوز للعرب وللإسلام وللشرق . فيا ويح دعاة الوطنيات الضيقة المحدودة ، إذا أقدم الأبطال نكصوا ، وإذا زاد الناس نقصوا . ويحهم ، إن المستعمر سارق ، وإن السارق الحاذق لا يسرق إلا فى الظلمة أو فى الغفلة ، فإذا انحسر الظلام ، أو انقشعت الغفلة ولى مدبرا بالخيبة والخسارة ، وإن مصر لفى فجر صادق ، وإنها لفى يقظة صاحية ، فأى موضع يسع السارق فيها ؟

صممى ، وأقدمى ؛ ولا يخدعنك وعد ، ولا يزعجنك وعيد ، ولا تلهينك المفاوضات والمحاورات ، فكلها تضييع للوقت ، وإطالة للذل . ولقد جربت ولدغت من جحر واحد مرارا

ان الخصوم — كما علمت — لئام ، فاقطعى عنهم الماء والطعام . وإن اللؤم والجبن توأمان منذ طبع الله الطباع، فحركى فى وجوههم تلك القوى الكامنة فى بنيك يرتدعوا

صممى وقولى للمتثاقلين الذين يعذلونك على الإقدام :
«وأضيع شىء ما تقول العواذل»

انثرى كنانتك — يا كنانة الله — فإن لم تجدى فيها سلاح الحديد والنار فلا تراعى . واحرصى على أن تجدى فيها السلاح الذى يفل الحديد وهو العزائم ، والمادة التى تطفئ النار وهى اتحاد الصفوف ، والسن الذى يشحذ هذين وهو العفة والصبر .

فلعمرك — يامصر — إنهم لم يقاتلوك بالحديد والنار ، إلا ساعة من نهار ؛ ولكنهم قاتلوك فى الزمن كله بالأستاذ الذى يفسد الفكر ، وبالكتاب الذى يزرع الشك ، وبالعلم الذى يعرض اليقين ، وبالصحيفة التى تنشر الرذيلة ، وبالفلم الذى يزين الفاحشة ، وبالبغى التى تخرب البيت ، وبالحشيش الذى يهدم الصحة ، وبالممثلة التى تمثل الفجور ، وبالراقصة التى تغرى بالتخنث ، وبالمهازل التى تقتل الجد والشهامة ، وبالخمر التى تذهب بالدين والبدن والعقل والمال ، وبالشهوات التى تفسد الرجولة ، وبالكماليات التى تثقل الحياة ، وبالعادات التى تناقض فطرة الله ، وبالمعانى الكافرة التى تطرد المعانى المؤمنة من القلوب . فإن شئت أن تذبى هذه الأسلحة كلها فى أيدى أصحابها فما أمرك إلا واحدة ، وهى أن تقولى : إنى مسلمة ... ثم تصومى من هذه المطاعم الخبيثة كلها ... إن القوم تجار سوء ، فقاطعيهم تنتصرى عليهم ... وقابلى أسلحتهم كلها بسلاح واحد وهو التعفف عن هذه الأسلحة كلها ... فإذا أيقنوا أنك لا حاجة لك بهم ، أيقنوا أنهم لا حاجة لهم فيك ، وانصرفوا ... وماذا يصنع « المرابى » فى بلدة لا يجد فيها من يتعامل معه بالربا ؟

نعمة من الله عليك أن امتحنك بهذه المحنة ، وأنت فى مفترق الطرق . ولو تأخرت المحنة قليلا لخشينا أن تسلكى أضل السبل

فرصة من فرص الدهر ، هيأها لك القدر للرجوع إلى هدى محمد ، ومحامد العرب ، وروحانية الشرق . فإن انتهزتها محوت آية الغرب ، وجعلت آية الشرق مبصرة

ويا مصر ، نحن وأنت سواء فى طلب الحق ومطاردة غاصبه . ونحن وأنت مستبقون إلى غاية واحدة فى ظلام دامس ؛ ولكنك أصبحت ، فيا بشراك ، ويا بشرانا بك ، ولم نزل نحن فى قطع من الليل ، نرقب الفجر أن يتبلج نوره ، وما الفجر منا ببعيد

محمد البشير الإبراهيمى

٢ ـ دعوة محمـــــد

لتوماس كارليل

الأستاذ عبد الموجود عبد الحافظ

الكعبة :

إنها أقدم المعبودات وأشرفهـا ، فقد ذكر المؤرخ الروماني (سيـلاني) أنها كانت في مدته أشرف المعابد في العالم وأقدمها طرا ، وذلك كان قبل ميـلاد السيد المسيح بأكثر من خمسين عاما . وتتكون الكعبة من البناء الذي رفع قواعده ابراهيم واسماعيل ليحج إليه الناس ذاكرين ربهم ، (وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت واسمـاعيل ، ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم . ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم)

والحجر الأسود الذي يعتقد بعض المؤرخين أنه ربما كان من رجوم السماء ، فإذا صح هذا الاعتقاد ، فلا بد أن يكون قد بصر به أحد وهو نازل من الجو . والبئر زمزم التي تنبع من بين الصخر . وأي منظر ، منظر الماء ينبجس من بين الحجر الصخري الأصم كأنه الحيـاة من الموت ! وقد اشتق لها اسمها (زمزم) من صوت تفجرها وهدير مياههـا . ويتفق أكثر المؤرخين على أنها قد تفجرت من تحت أقدام هاجر زوجة إبراهيم وابنها اسماعيل بعد أن أشرفا على الهـلاك ، فكانت لهم حيـاة وشفاء من الله

وقد عظم العرب الكعبة وقدسوا البئر والحجر الأسود منذ آلاف السنين ، إذ كانوا يحجون إليها تقربا إلى الله وعبادة له . وكان من حج القبائل أن انشئت مدينة مكة وسط هضاب مقفرة وتلال من الرمال مجدبة وعلى مسافة من البحر بعيدة ، إذ كان كثير من الحجـاج يطلبون المأوى فلا يجدونه ، فأنشأوا هذه المدينة ليأووا إليها زمن الحج ، فكانت تلتقي فيها التجارة من أول يوم يلتقي فيه الحجاج . وعلى مر الأيام وجد جماعة من العرب أنفسهم مجتمعين لأغراض كثيرة تتركز كلهـا حول الكعبة ، فأنشأوا لهم مساكن حولها وأقاموا متيمنين ببركتها محتمين بحرمتها ، ومن هـذا الوقت أصبحت مكة أهم أسواق البلاد العربية بأجمعها والمركز التجاري المهم بين الشـام ومصر وبين الهند ، بل بين الشرق والغرب . ولأهميتها في ذلك الوقت بلغ عدد سكانها في بعض الأحيـان أكثر من مائة ألف ، بين تجار ومشترين وموردين للبضائع وسكان أصليين . وكان يتولى أمرها جمهورية ارستقراطية عليها سمة (دينية) فقد كان سكانها يختارون لها جماعة من عشرة رجال ، من إحدى القبائل ليكونوا حكامها وحراسا للكعبة وسدنتها ، وكانت هذه لاشك طريقة غير سليمة . وقد انتهى هـذا الأمر في أواخر الأيام السابقة لظهور النبي إلى قبيلة قريش التي منها أسرة محمد إذ أنها كانت هي التي تسكن مكة . أما بقية القبـائل الأخرى ، فكانت متفرقة في أنحاء الصحراء تفصلها الواحدة عن الأخرى مسافات بعيدة من البيد والقفار ، وكانت كل قبيلة تختار لها أميرا وربما كان هذا الأمـير راعيا ، بل وكثيرا ما يكون لا عمل له إلا قطع الطريق والإغارة على القبائل الأخرى المجاورة . وكثيرا ما كانت الحرب تستمر سجالا بين القبائل عدة سنوات ، ولـكنهم على رغم تباعدهم وشتات شملهم وما بينهم من عداوة وبغضاء ، كانوا يلتقون حول الكعبة فيجتمعون رغم اختلاف عقائدهم ، على مذهب واحد ، وهو تقديس الكعبة وتعظيمها ، على أنه كان هنـاك شيء يجب علينا ألا ننسـاه وهو أنه كان بين العرب رابطة قوية ، ألا وهي رابطة الدم واللغة التي تفوق كل الروابط والتي توحد المشـاعر وتسهل التفاهم وتشعر بالتقارب

* * *

على هـذا المنوال عاش العرب قرونا عديدة خاملي الشأن لا أثر لهم في الحيـــاة ولا ذكر لهم في العالم ؛ فقد وصل بهم الاضمحلال والسقوط ، أن كان يستخدمهم الفرس والرومان في محاربة بعضهم البعض في الدفاع عن مصالح تلك الأمم . غير أنه في أواخر أيامهم حدثت بينهم دواعي اختلاط ، أخذت تربطهم وتقرب بينهم ، ثم أخذت تتسرب إليهم أنباء من أكبر حادثة

وقمت فى ذلك الوقت على وجه البسيطة — وأقصد بها حياة المسيح ودعوته — فأحدثت هذه الدعوة تأثيرا ملموسا فى الأمة العربية وجمعت بين كثير من قبائلها ، وكأنما أراد الله أن يكون هذا العمل إرهاصا للدعوة الكبرى واليوم المشهود الذى ينتظره هؤلاء العرب ليعلو ذكرهم ويرتفع فى الآفاق شأنهم

• • •

ما أعجب أمر الكعبة وأعظم شأنها ! فهى التى جمعت بين شتات العرب ووحدت بين مشاربهم ، وكما هى فى هذه الآونة قائمة على قواعدها عليها الكسوة الشريفة التى يرسلها لها السلطان كل عام والتى توقد فيها المصابيح فى ليلة الهجرة لتشرف تحت النجوم المشرقة، هى أجل أثر من آثار الماضى وخير ميراث من الغابر

هذه هى الكعبة التى يولى شطرها ملايين عديدة من المسلمين وجوههم من أقاصى الشرق إلى أقاصى الغرب من دلهى إلى مراكش ، كل يوم خمس مرات . تهفو إليها قلوبهم وتشخص أبصارهم . إنها والله لمن أجل مراكز المعمورة وأشرف أركانها

الإسلام :

ما هو الإسلام ؟ . كثيرون هم الذين لا يعرفون ما هو الإسلام ، أو يتساءلون مستهزئين هذا السؤال . أما الأولون فهم معذورون وأما الآخرون فهم حاقدون . ولهؤلاء وأولئك أقول

الإسلام هو أن نذعن لأمر الله ونسلم الأمر له ونتوكل عليه ، ونعلم أن القوة كل القوة هى فى الخضوع لحكمه والاستنامة لحكمته والرضا عما قسمه لنا فى الدنيا والآخرة . ومهما يصيبنا من شئ ، فلنعلم أنه من الله ويجب علينا أن نتقبله بنفس راضية ووجه باش ونعلم أنه الخير ولولا ذلك لما اختاره الله لنا . (قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون) وقد قال شاعر ألمانيا « جوته » عندما عرف أن هذا هو الإسلام : « إذا كان هذا هو الإسلام وهذه تعاليمه فكلنا إذن مسلمون » نعم هذا قول حق لأن كل من كان شريفا فاضلا كريم الخلق قوى اليقين فهو مسلم . وقد قيل : « إن منتهى العقل والحكمة ليس فى مجرد الاذعان للضرورة ، لأن الضرورة تجعل المرء يخضع لها رغم أنفه ، فلا يكون له فضل فيما يأتيه ، وكيف يكون للانسان فضل فيما يعمله مكرها ! ولكن منتهى العقل ومبين الحكمة هى اليقين بأن ما ينزل بالإنسان من حوادث الزمن هى الخير له ، وأن لله فى ذلك حكمة تلطف عن أفهامنا نحن البشر وتدق عن عقولنا ، وأنه من الخطل والسخف أن يعتقد الإنسان فى نفسه القوة ويجعل من عقله الضئيل ميزانا للعالم وما يجرى فيه من أعمال ، فيضع الأشياء فى غير مواضعها الحقيقية ، بل يجب عليه أن يعتقد أن للكون قانونا عادلا وإن غاب عن إدراكه وعجز عن فهمه ، وأن الخير هو أساس الكون، والنفع هو روح الوجود، والصلاح لباب الحياة، عليه أن يعرف هذا ويعتقده ويتبعه فى سكون وتقوى حتى لا يضل الطريق إلى الله . وهذا هو الإسلام

• • •

إن الإنسان يكون مصيبا وظافرا ، سائرا على الطريق الأقوم والخطة المثلى والمذهب الأشرف الأطهر ، مادام معتصما بحبل الله متمسكا بقانون الطبيعة الأكبر ، غير مبال بالقوانين الوضعية السطحية والظاهرات الوقتية . إن المؤمن هو الذى يتبع القانون الجوهرى الكبير ، ذلك القانون السماوى الذى يعتبر قطب الرحى ومحور النظام فى الكون

وأول وسيلة يجب على من يريد أن يسير على نهج القانون الأعظم إتباعها ، الاعتقاد بوجوده وبأنه أصلح القوانين للحياة ولا قانون غيره يصلح لتنظيم الكون وقيادة العالم إلى الأمن والسلام مما يضعه البشر لأنهم قاصرون عاجزون . هذا هو جوهر الإسلام وروحه . وهو أيضا كان روح النصرانية من قبل ، يوم أن كان أهلها يعتقدون هذا الاعتقاد

الإسلام والنصرانية دينان سماويان. ويجب علينا أن نفهم أن الأديان السماوية تأمرنا بالتوكل على الله قبل كل شئ وأن نعظمه بقدر عظمة الكون الذى خلقه ، وتبعا لذلك يجب أن نزجر النفس عن الشهوات وننهى القلب عن الهوى والزيغ ، وأن نتعود الصبر على الأذى والأسى وأن نرضى بما قسم الله لنا وكل

ما يأتينا به الله إن هو إلا يد بيضاء من الله علينا ونعمة فراء من نعمه على الكون التي يجب أن نحمدها ونخر لله ساجدين شكرا ، نحمده على كل حال ولو كان ضررا يلحق بنا فقد يكون فيه شفاء لنفوسنا وتطهير لقلوبنا مما بها من الشوائب والأدران (وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون)

علينا أن نعرف موقنين أن عقولنا قاصرة عن معرفة شيء من أسرار هذا الكون الواسع ، وتبارك الله ذو الفضل والجلال ، وما أحرانا أن نقول دائما : « إننا بقسمة الله راضون ولو كان ما قسم لنا المنون »

° ° °

لو تأملنا سرعة انتشار الإسلام ودخوله إلى القلوب وشده امتزاجه بالنفوس واختلاطه بالدماء في العروق ، وتجردنا من عصبيتنا البغيضة ، لتحققنا من أنه خير من النصرانية وأفضل تلك التي كانت منتشرة وقت ظهور الإسلام في كثير من بلاد العالم كالشام واليونان وغيرها ، تلك النصرانية التي كانت تصدع الرأس وتحول بطلانها بين القلوب وبين الحياة الصحيحة ، فقد كانت قلوب معتنقيها قفرا يبابا من المعاني السامية والروحية القوية التي يمتاز بها الإسلام . لقد كان في النصرانية عنصر من الحق ، غير أنه كان ضئيلا جدا وهذا هو السبب الذي جعل الناس يؤمنون بها ، لأن الناس مهما كانوا فهم يريدون الحق ويسعون إليه ، ولكن ما إن وجد الإسلام حتى أصبحت النصرانية على حالها هذا كالدعي بجانب الأصيل

فقد جاء الإسلام والنصارى فرق وشيع يقيمون أسواق الجدال ، يخطئ كل فريق منهم الآخر بالحجج الجائرة والبراهين المصطنعة الباطلة . فكانوا بهذا يطعنون دينهم بأنفسهم من حيث يعلمون أو لا يعلمون حبا في شهوة النصر كمن يقال فيهم (يخربون بيوتهم بأيديهم) جاء الإسلام على الملل الباطلة والنحل الكاذبة والعبادات الضالة فمحقها ، وحق له أن يمحقها لأنها باطل وهو حقيقة خارجة من قلب الطبيعة الصادقة . إن الإسلام ما كاد يظهر حتى زالت وثنيات العرب واختفت من الوجود واحترقت جدليات النصرانية وذهب كل ما لم يكن حقا ، وصار حطبا التهمته نار الإسلام فحولته رمادا ذهب والنار لم تذهب على مر العصور

° ° °

نظر محمد ببصره النافذ إلى ما وراء معبودات العرب الكاذبة ومذاهبهم التي لا تقوم على أساس صحيح ، ونظر إلى اليهود وروايتهم وبراهينهم ومزاعمهم وقضاياهم وإلى النصرانية وجدلياتها . نظر إلى هذا وغيره بعينه الثاقبة وقلبه البصير الصادق وفكره المتوقد إلى جوهر الأمر وصميمه ، فقال في نفسه : ما هذه الأصنام التي تصقل بالزيت وتدهن فيقع عليها الذباب فلا تستطيع رده ، إنها خشب مسندة لا تضر ولا تنفع ، إنها باطل ومنكر فظيع وإغراق في الكفر بالله خالق الكون ومسيره ، ولكن الحق هو الله الذي لا إله إلا هو وحده لا شريك له ، الذي خلقنا وهو الذي يحيينا ويميتنا ثم يحيينا ، ويطعمنا ويسقينا ، وهو أرأف بنا منا إنه هو الرءوف الرحيم ، الذي خلق لنا ما في الأرض جميعا لننتفع به ونشهد على أنه هو الواحد القادر الذي يجب أن يعبد ، لا إله غيره

لقد آمن العرب بالإسلام ودخلوا فيه أفواجا راغبين غير مكرهين ، وإن دينا آمن به أولئك العرب الوثنيون وأمسكوه بقلوبهم وعضوا عليه بنواجذهم لجدير بأن يكون حقا وأن يصدق به لأنه حق لا مراء فيه

لقد اشتمل الإسلام على مبادئ عظيمة وقواعد جليلة ، وإن الشيء الوحيد الذي يجب على الإنسان أن يلحظه في الإسلام ، هو اشتماله على روح الأديان جميعا ، هذه الروح التي تلبس أثوابا مختلفة وتتشكل بأشكال متعددة ، ولكنها في الحقيقة شيء واحد

وباتباع قواعد الإسلام والتمسك بروحه يصبح الإنسان إماما كبيرا لهذا العبد الأكبر (الكون)

على الإنسان إذا أراد الهداية ، أن يسير على قواعد الخالق تابعا لقوانينه لا يحاول أن يقاومها أو يداقعها أو يعبث بها لأنه سيبوء بالفشل لا محالة لأن الله هو الذي يحفظها « إنا نحن

فدوى طوقان

شاعرة الوجد والحنين

للسيدة وداد سكاكيني

عند كلامي على شاعراتنا المعاصرات تطوف بالخواطر ترانيم شاعرة الإغريق سافو التي أنبتتها لسبوس بلدة الفن والأدب . ولقد كانت حياتها وآثارها لحنا شرودا ولحنا غريبا . ويقتحم الفكر بعدها اسم الخنساء الذي شاع في دنيا العرب قديما ، فقد ظهرت هذه النابغة الكريمة شاعرة عز مثلها في الرجال . ولما فجعها الموت في أخيها صخر، وكان يبرها ويؤثرها بحنانه وإحسانه سكبت دمعها رثاء له وحزنا عليه حتى تركت ديوانها مثل عين فياضة بالدموع

ولست أدري حين أقرأ الشاعرة المعاصرة فدوى طوقان كيف آخذ لهما الوصف من هاتين الشاعرتين المختلفتين طبيعة ومزاجا ، ففي شعرها من الأولى ألحان وتنافيم، ومن الثانية صور اللوعة والفجيعة ، فأعجب لتشابه النصيب والمصيبة

لقد فجر الحزن قريحة الخنساء وحسها فبكت أخاها بشعر يموج فيه النوح والعويل ، وطال وجدها وأساها ، فهي تبكي أخاها وترثيه لطلوع الشمس وغروبها . وكأنما تحرق شعورها واستبدت بها الحرقة فراحت تنفس عنها هذه المراثي الندابة التي طبعت شعرها بطابع عرفت به ودل عليها

أما فدوى طوقان الفتاة الحضرية الأصيلة التي تثقفت في بيت عريق المجد والجاه في مدينة نابلس بفلسطين حيث يشرف جبل النار على هذا الحي المنكوب فقد تعهد أدبها وثقافتها أخوها «إبراهيم» ، وإبراهيم كان حلما من أحلام عبقر ، وعلما من أعلام الشباب الوطني رف طيفه وطاف شعره منذ عشرين عاما في آفاق الشام والعراق ، وكان بشرى التجديد والإبداع في الشعر العربي المعاصر ، ولكن سرعان ما غيب الموت هذا الشاعر فأسفت أشد الأسف شقيقته فدوى ، وكانت قد أوتيت مثل أخيها موهبة

نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » ولم أجد قط تعريفا للواجب خيرا من هذا

ولا يكون الإنسان مصيبا إلا إذا سار على منهاج الإسلام ، وهو الدين القويم ، لأن الفلاح في اتباعه (إذا كان منهاج الدنيا طريق الفلاح)

° ° °

إن من فضائل الإسلام التضحية بالنفس والمال في سبيل الله ، وهذا لا شك أعظم وأشرف ما نزل من السماء على بني البشر في الأرض . إن الإسلام نور الله قد ظهر في روح محمد ذلك الرجل العظيم ، فأنار الدنيا وبدد ظلماتها ، تلك الظلمات التي كانت تنذر بالهلاك والخسران المبين

وقد جاء به من عند الله ملك عظيم سماه (محمد) وحيا ، وقد صدق إذ سماه هذا الإسم ، فمن منا يستطيع أن يسميه اسما آخر ، ألم يجيء في الإنجيل (أن وحي الله يهبنا الفهم والإدراك) ولا شك أن العلم ببواطن الأمور والنفاذ إلى جوهر الأشياء لسر غامض وأمر خطير لا يكاد المتطفون يصلون منه إلا قشوره ، وقد قال نوفاليس : أليس الإيمان هو المعجزة الحقة الدالة على الله به . »

إن شعور النبي محمد الذي ضاءت روحه بنور الحقيقة الساطعة ، بأن هذه الحقيقة أهم ما يجب على الناس أن يعلموه ويؤمنوا به ، لم يكن إلا أمرا بديهيا . وما دام الله تعالى قد اختصه بها وكشفها له ونجاه من الضلال والتردي في الباطل فهو مضطر إلى نشرها بين الناس وإظهارها للعالم أجمع ، وهذا كله معنى كلمة « محمد رسول الله » وهذا هو الحق الجلي والصدق المبين وهو روح الإسلام وجوهره

فهل بعد هذا يستطيع المكابرون أن ينكروا فضله ويجحدون مزاياه ثم يقولون ما هو الإسلام

عبد الموجود عبد الحافظ

الشعر فراحت تبكيه وترثيه بقصيد أعاد إلى الخواطر ذكرى الخنساء. وما أكثر ما قالت فدوى في وجدها ولوعتها وكأنما كان فيه عندليب يبكي عندليبا، فمنه قولها :

واشقيقاه ما أجل مصابي كيف أودى الردى بزين الشباب
واشقيقاه مات في عمر الورد غضير الصبى نضير الإهاب
أين مني أخي ؟ فلي الله ما خلاه عني ما عاقه عن جوابي
حر قلبي « لجعفر وغريب » وهما يرقبان يوم الإياب
كلما استشعرا إليك حنينا هاج في الصدر من طويل التياب
هتفا باسمك الحبيب وبانا رهن هم ووحشة واغتراب

ويدعو الشاعرة فقد أخيها إلى أن تسأل القبر عما وراء الغيب وعن عالم صار إليه أخوها. وقد سأل قبلها الشعراء عن هذا المصير فما أجابهم إلا صدى يرن في ظلمات العدم فتقول :

ليت شعري ما عالم صرت فيه عن عيون الأحياء خلف حجاب
أهو شط الأمان للنفس بعد الخوض في مزبدات طامي العباب

وبمر عام تزداد فيه هواجس الشاعرة وتستبد بها شجونها فتقول :

لا كان عام ظلمت يا سكني فيه وراء الحياة والزمن
مستوحشا في الضريح منفردا مرتهنا بالتراب والكفن
لو أنني قمت بالوفاء أخي ما ظل روحي يجول في بدني

لقد بكر الحزن على فدوى وطنى ، فقالت فيه أكثر شعرها قبل أن يكون منها شعر من ضرب آخر ، بل كان هذا الحزن مثيرا لآلامها وهمومها التي لونت حسها وخيالها بتلاوين الوحشة والكآبة وجعلتها تقول الشعر تعبيرا عن نفسها وتصويرا لمواجسها ، فكانت مراثيها شجوا ودمعا ، ثم ظهرت قصيدتها « خريف ومساء » مواجهة بالحيرة والزهادة

ويمسح الزمن بعد حين بيده السحرية على وجوم فدوى ووجدها وتتصدى لها رسالة الشعر فتناغيها وتناجيها ، وتهدهد مواجعها بالرجاء والعزاء ، وتستجيب لها الشاعرة فتحاول الخروج من هيكلها القاتم الذي طال وقوفها فيه بين الحسرات والزفرات

كان صنع الشاعرة الطوقانية وهي تنفلت من شجوها كصنع الناسك القديس الذي يترك محرابه للتطواف في حديقة أو رحبة ناسيا ركعاته الطوال أمام المذبح ، أو كما فعل الناسك الذي صوره أندريه جيد في السمفونية الرعائية . والشاعرة السادرة في تفلتها حينا بعد حين من حزنها تتخفف من السواد الذي كان طالقا بألفاظها ومعانيها ، فتؤثر التأمل وتلتمس الفلسفة في الشعر الذي سارت به على غرار الأوائل. وكنت أتمنى لو انفردت فدوى بلمحات خاصة كالتي ظهرت في شعرها الأخير حين رمت بطرفها على شاطئ الوجود

أما أنوثة الشاعرة فأمر لا ينبغي أن يغيب في دراسة الأدب المعاصر ، وفي هذه المرحلة من التحليل النفسي الحديث ، الذي يتناوله نقاد الأدب في الغرب على نحو من التصريح لا التلميح ، ولم يتهيب الكلام نقادنا القدامى حين حللوا شعر النساء وأولوا لفظه ومعناه . فكأني من شاعرة أو مغنية في العصرين العباسي والأندلسي كانت تعرب عن شكواها وجواها ولا ترى حرجا في أن تتدلل أو تتغزل . ولا أدري ما يحول بين ناقد الأدب المعاصر وبين تحليله شعر المرأة والمضي وراء مراميها إلى حيث ترف أجنحتها الشعرية في آفاقها البعيدة ؟

على أن السائد من تقاليدنا ما يزال يجعلنا متحفظين متحرزين في التعبير عن حقيقة إحساسنا ومنازعنا ، فلا الشاعرة ولا الأديبة تستطيع مع هذا التحرج أن تصور هواجسها وخلجات قلبها ، ولا الناقد يستطيع النفوذ إلى ماوراء الكلام ، ولهذا فإني حين نظرت إلى طائفة من شعر فدوى قلت أكثره في التعبير العاطفي والشوق المقيد والقلق المستبد عزوته إلى هذا التحفظ النسوي. غير أن فدوى إذا قيست بشاعراتنا المعاصرات كانت أصدقهن تمثيلا للعاطفة الصحيحة والشعور الذي يخامر الأنثى . وليس معنى هذا أن شعرها مقصور على الوجد والحنين فإن لها تأملات روحية وصورا حسية منوعة دلت على تقبتها وتعمقها في فهم الكون والحياة والمضي مع تيارات الفكر الحديث . والشعر عند فدوى فن يرفده حس مرهف وقريحة متفقة لم تقنع من الفطرة بالوحي والإلهام . وقارئ قصيدتها أية كانت يشعر أن وراء هذا الشعر من تقوله وقد ملكت

(١) هما ولدا الشاعر إبراهيم طوقان

مواهبه وأسبابه

ولعل الشاعرة الطوقانية قد تأثرت بتعاليم المرى والخيام، فتوقانها إلى الانعتاق من الحياة ولا سيما انطلاق الروح من الجسم فكرة علائية أكثر المرى من ذكرها فى لزومياته، وحنينها إلى الينبوع الإلهى نزعة صوفية. أما أملها فى أن تبعث من تربتها زيتونة مثمرة فهذه لمة خيامية تلوح فى قولها:

يارب إما حان حين الردى ... وانعتقت روحى من هيكلى
وأعنقت نحوك مشتاقة ... تهفو إلى ينبوعها الأول
وبات هذا الجسم رهن الثرى ... لقى على أبدى البلى الجائره
فلتبعث القدرة من تربتى ... زيتونة ملهمة شاعره
حتى إذا يا خالقى أضمت عناصرى أعصابها والجذور
انتفضت تهتز أورافها ... من وقدة الحس ووهج الشعور

ويطغى على فدوى حس مبهم مجنح يعاود مثله الشعراء الذين ينطلقون وراء المثل العليا أو يلوبون على حقائق يتوهمونها ويتشدونها، إنهم فى عالمهم الخاص يبدعون شخوصا وأشياء ثم يضفون عليها من ألوان الوجود، فاذا هم يناجون ويهتفون وليس بين أيديهم إلا هذه المثل الهائمة المدومة فى آفاقها البعيدة. وهذا سر تفوقهم فى متع الخيال وتهاويل الباطن! والشاعرة الطوقانية لم تنحرف عن سنة هؤلاء؛ ففى شعرها الذى قالته بعد الرثاء لمحات ظمأ وحنين، ونفحات فن وإحساس عنيف، فيها حل لها على الانفلات من قيود عزلتها ووحشتها، وقد عبرت عنها بالشوق إلى المجهول.

ولا يحسن بعض الملمين بشعر فدوى أن هذا المجهول الذى تمضى وراءه متلهفة حيرى هو المحبوب أو الزوج أو الولد، إن هذا لمن أتفه ما يصبو إليه الشعر. وإنما تنفذ الشاعرة تأملاتها وشطحات شوقها وراء الغيوب، فى العديم المثالى لعالم الشعر الذى لا يفنى. وقد أحس هذا الاحساس كثير من الشعراء والشاعرات وكانوا متزوجين ولهم أولاد موحفدة، وما نسينا تحليق شيخ الشعراء بفرنسا «فيكتور هوغو» حين نشر جناحيه فى سموات هذا المجهول الشارد بأكثر قصائده التى وضعها بديوانه المسمى «كيف يصير المرء جدا» ومرد ذلك عندى إلى الألم العميق، فإن هوغو فقد بنته وزوجها غرقا فبقى محزونا عليهما، وقال ذلك الشعر الذى يهفو إلى المجهول بسائق من هذا الأسى المقيم. وكذلك أرد شعر فدوى فى هذا الصدد، فلولا موت أخيها الذى ضمضمها، وهذه الهواجس التى ألمت بنفسها لما سمت روحها نحو هذه المثل البعيدة.

وإذا كان لقولى هذا ختام على إيجاز فى الشاعرة الطوقانية فأجمل ما ينبغى أن يكون الكلام فيه على شعرها الوطنى. وهل ذهب ذاهب إلى أن فدوى التى هزها الأسى على أخيها إبراهيم لم تكن ذات شعر وطنى؟ هيهات هيهات! فان جبل النار الذى يغلى حمية وحرية هو الذى تحدرت من قمه فدوى، وطبعها على هذا الشعر الذى رددته وكأنه أغاريد بطولة وجرس سلاح.

إن لفدوى طوقان فى فلسطين المنكوبة المغصوبة شعرا لم يقل مثله الرجال. وسيظهر هذا الشعر فى ديوانها ملتهبا بالدم مشبوبا بالشمم، فمن قولها فيه:

يا هذه الأقدار لا ترحمى ... فرائس الضعف بقايا الرمم
ستنجلى الغمرة يا موطنى ... ويمسح الفجر غواشى الظلم
ان يقعد الأحرار عن ثأرهم ... وفى دم الأحرار تغلى النقم

وإذا كانت تلوح اليوم فى الآفاق العربية بشائر الشعر النسوى الحديث كما كانت تلوح فى هبات التألق الأدبى الذى كان فى العصرين الأموى والعباسى، وفى الاندلس، فان طائفا من الالهام الإلهى والفن المطبوع قد تخير فدوى طوقان لتحمل رسالة هذا الشعر فى جيلنا المعاصر، يمكنها من ذلك تضلعها من الفصحى وتمرسها بالبيان. وإنها لتجود بالشعر من نفسها وحسها غير منسحبة على التكلف والتقليد، ولا مرددة لشعر مصنوع تفوح منه الترجمة والاقتباس، وإن لها لأمداً بعيداً هى منطلقة نحوه وقد انشق أمامها الطريق.

القاهرة

وداد سكاكينى

مسيو بتلان

بقلم الأديب عبد الغنى الأنبارى

مسيو بتلان بطل مسرحية فرنسية ظهرت فى القرن الخامس عشر ، وقد لاقت نجاحا منقطع النظير ، ولا زالت تلاقى إقبالا عند تمثيلها . أما مؤلفها فقد تضاربت الآراء فى معرفته . ومسيو بتلان بطل المسرحيه محام ولكنه يمثل الشخص الخبيث الماكر الذى يوجه ذكاءه ونشاطه لخدمة مآربه الشخصية . ويطلق الفرنسيون اسم بتلان على كل إنسان يتصف بهذه الصفة . والعرض الذى أقدمه للمسرحية هو عن اللغة الإنجليزية

نحن الآن فى الفصل الأول من المسرحية حيث نرى مسيو بتلان بطلها وقد التزم داره ، آنسه إنسان مغرور يظهر على سيماه الخبث والمخادعة ، وهو كسول فى نفس الوقت ، لا يريد أن يكلف نفسه مشقة الخروج للبحث عن مورد أو دعوى يتوكل فيها . وقد أزعجت حالته هذه زوجته « جيميت » — ولعلها أخبث منه — فآلمها ما يبدو من زوجها من التراخى والكسل إذ لا يبدو عليه أى اهتمام بحلول العيد وما يتطلب من ملابس جديدة . فتأخذ فى انتهاره وإيذائه بقارص الكلم وتوجه إليه لوما وتقريعا قائلة له : ما الفائدة فى أن يكون محاميا عظيما كما يدعى ، بينما هو يعجز عن تدبير المال الكافى لشراء ملابس العيد ! وكأنها بهذا الكلام أى بوصفها إياه — محاميا عظيما — قد مست فيه الوتر الحساس من نفسه المغرورة . فهتف بها أنه نعم لا زال ذلك القانونى والمحامى ذو الاسم اللامع فى عالم القضاء ، وسيريها الى أى حد سيوفق فى يومه هذا .

ثم يأخذ نفسه بالحزم والشدة فيلبس ملابسه ويخرج . الى أين ؟ لا يدرى . وأخذ يقدح فكره طوال الطريق . من أين يدبر المال اللازم وأين السبيل الى ذلك ؟ أين يجد ذلك المخلوق الأبله الذى يرضى أن يوكله فى قضيته ، وهو ذلك المحامى الذى عرف بالخسة وضعة النفس فضلا عن أنه محام فاشل .

وما زال بأفكاره هذه حتى بلغ السوق ، وانتهى بتفكيره الى أن رغبة زوجته تنحصر فى الحصول على الملابس فقط . ولا يهمها إن كان محاميا عظيما أو فاشلا ، كما لا يهمها مطلقا المصدر الذى يحصل به على القماش المطلوب .

إذن فالمسألة هينة الى حد بعيد . هداه تفكيره الى رأى عزم على تنفيذه ، إذ كان قد وصل الى حانوت بائع للأقمشة اسمه « جيوم جوكوم » . أما جيوم هذا فقد عرف عنه أنه رجل حريص شديد البخل . فاقترب منه بتلان وقد افتر ثغره عن ابتسامة عريضة ملؤها الثقة بخبثه ، فسلم على جيوم وحياه وأخذ يصافحه بشدة وإخلاص ، متظاهرا بأنه صديق مخلص له عزيز عليه . فأخذ جيوم بهذه الفاجأة ودهش إذ أن هذا السيد يدعى أنه يعرفه ويدعى أكثر من هذا أنه صديق عزيز عليه ، فيبعد جيوم قليلا من حذره الذى عوده إياه بخله الشديد وسوء ظنه بالناس ، وتتفتح نفسه رويدا لهذا الإخلاص العميق الذى يبديه بتلان . ولا يزال به بتلان هاتفا هاشا باشا حتى يضطر جيوم الى دعوته إلى الجلوس ، فيتحدث بتلان عن الصحة والمزاج والأحوال ثم ينتقل الى الحديث عن العائلة وعن المرحوم الوالد العزيز الذى كان صديقا مخلصا له ، ثم أخذ يتحدث عن علاقته بالراحل الكريم وكيف أن جيوم كان لا يزال صغيرا عند ما كان هو يزورهم ، ثم يزيد مؤكدا كيف أنه — أى جيوم — يشبه أباه فى حركاته وفى ملامحه وفى رقة أخلاقه أيضا . ومايزال كذلك حتى يتحول الحديث فجأة إلى القماش قائلا : يالله من قماش بديع وجميل ! ولكنه فى هذا لا يظهر أنه جاد فى حديثه عن القماش فينتقل ثانية سائلا عن عائلة جيوم ويقول : إن زوجتى يسرها جدا أن تزورنا بل أن تتفضل بالغداء معنا . ولكن جيوم وقد تحركت فيه نفسية التاجر فيعود بالحديث من القماش مطنبا ومادحا لهذا القماش الثمين فيؤيده بتلان فى ذلك وإن كان قد أظهر عدم المبالاة ، ومع هذا فانه يقول إنه سيرى نفسه مضطرا أن ينزل عن عشرين جنيها ثمنا لما سيشتريه اليوم من صديقه العزيز . ثم يعود للحديث عن الوليمة التى ستقيمها زوجته لصديقه جيوم ، وفى هذه الأثناء يمد يده الى قطعة أخرى ويختبرها ويقول : كيف أن القماش الفاخر يجتذب الزبائن اجتذابا ، وكيف يستولى على النقود فيسلبها من

أصحابها راضين بذلك . ولكنه يقول يا للأسف لقد نسيت محفظة النقود فى البيت . ولكن هذا لا يهم وإن كان الخير فى ذلك ، لأن جيوم سيستلم أثمان القماش عند حضوره للغداء ، ويتفقان على القماش . وعندها يساور جيوم حذره وحرصه على النقود فيطلب أن يأتى هو بالقماش معه عندما يحضر للغداء ، ولكن صديقه الكريم بتلان لا يرضى بهذا العناء إذ كيف يكلف صديقه العزيز جدا بحمل ما يخصه ؟ ومازال به حتى يرضخ جيوم للأمر ممنيا نفسه بغداء دسم مع استلام النقود .

ونرى بتلان فى الفصل الثانى وقد عاد الى بيته متأبطا القماش الفاخر فتفرح بذلك زوجته فيحدثها عن القصة وعن كيفية الحصول على القماش ، ثم يطلب منها أن تتكفل بالباقى فقد جاء دورها ، إذ أن جيوم سيحضر مطالبا بثمن القماش عند الغداء . وهنا يظهر خبث الزوجة فاذا هى أبرع من زوجها وكأنهما شن وطبقة ، فيتفقان على أن يتظاهر بتلان بالمرض وتدعى هى أنه مريض منذ أيام ولم يخرج أبدا ، ويبدآن بتنفيذ الخطة فيخلع بتلان ملابسه ويستلقى على السرير . وعندما يطرق الباب فيعلمان أنه جيوم بائع الأقمشة والضيف الكريم ، فتذهب جيميت الى باب الدار وقد أخذت تسير على أطراف أصابعها متصنعة الاهتمام فتفتح الباب وتبدأ مهمتها فترحب بجيوم على أنه الطبيب وتدعوه للدخول وهى تشغله بالحديث عن المريض وكيف أنه يتألم وكيف أنه لا يدعها تذوق طعم الراحة .

فيدهش جيوم قائلا إن بتلان كان معه قبيل نصف ساعة ، وأنه اشترى منه قماشا وأنه مدعو للغداء ، فتصرخ فيه جيميت : أى قماش وأى غداء ؟ هو إذن هو ليس بالطبيب المنتظر وإنما شخص غريب جاء يدعى أن زوجها المسكين قد خرج واشترى وعاد . ما هذا الهراء ؟ ولكن جيوم يؤكد لها أن مسيو بتلان كان فى دكانه قبل مدة وجيزة ، وأنه جاء يريد ثمن القماش ، فصاحت به أن يمتنع عن هذا الهذيان وعن هذا الاتهام وليلزم الصمت لكى لا يقلق راحة المريض ، ثم يصلان الى غرفة بتلان فاذا هو يتقلب على فراشه متألما . ويحدث جيوم على اعتبار أنه الطبيب ويشكو اليه حاله وما يصيبه من الآلام ، فيتوسل اليه جيوم بأن يتذكره ويتوسل اليه أن يعطيه ثمن القماش ، ولكن جيميت تصيح به وتدفعه بعيدا عن المريض . فيعرف جيوم أخيرا أنه وقع ضحية محتالين ، فيخرج مسرعا الى دكانه ليتأكد من طول القماش ، فيقيسه فيجد أنه حقيقة قد قطع منه بضعة أمتار ، فيعود مسرعا مرة أخرى الى دار مسيو بتلان ويدخل مؤكدا صدق مطالبه وملحا أن يأخذ ثمن القماش أو يستعيده . ولكن بتلان لا يجيبه إلا بالتأوهات ، وعندها تعود جيميت إلى انتهاره واتهامه باقلاق راحة المريض ، فيخرج جيوم متوعدا أنه سيشكوهم الى القضاء .

وفى الفصل الثالث نرى التاجر جيوم وقد خرج متوعدا ، ويتفق أن يلاقى الراعى توما . أما توما هذا فانه يشتغل راعيا لأغنام المسيو جيوم ، ويعرف توما بالأبله ولكنه خبيث أيضا وماكر ، استغل أمانة سيده لأغنامه فأخذ يبيع بعضها ويتصرف بثمنها فشكاه جيوم الى القضاء ، ونرى توما الراعى قادما الى دار المحامى بتلان لكى يوكله عنه .

وهنا يظهر خبث المحامى بتلان على أروع صورة فيتفق مع الراعى توما أن يدعى أنه أخرس ولا يجيب على أسئلة القاضى إلا بـ « آآآ » أى مثل أصوات الغنم .

والمنظر الآن فى المحكمة حيث الفصل الأخير وقد ظهر القاضى والتاجر جيوم . وعندها ينادى الحاجب الراعى توما فيتقدم هذا إلى القاضى فيسأله عن اسمه فلا يجيب إلا (آآآ) فيتملك جيوم الغيظ والغضب وينكر أن يكون توما الراعى أخرس . وعندها يطلب القاضى مناداة وكيله ومحاميه فينادى الحاجب (المحامى بتلان) فيستغرب جيوم أن يكون بتلان حاضرا إذ قد تركه منذ وقت ليس بالبعيد مريضا أو متمارضا على الأصح . ولكنه يفاجأ بل يكاد يصعق عندما يرى الباب يفتح ويدخل مسيو بتلان ، فيثور ويترك مسألة الغنم والراعى توما ويشكو بتلان إلى القاضى متهما إياه بالسرقة فيدهش القاضى ؛ ولكن جيوم يقول إن المحامى بتلان محتال ومخادع وماكر كان قد أخذ منه قماشا عند الصباح وعندما جاء ليأخذ ثمنه فى البيت أنكره عليه وكان يدعى المرض بل كان مستلقيا على الفراش وأنه قد اتفق مع الراعى توما على انتهاك حرمة ماله . ثم يعود فيشكو الراعى توما إلى القاضى وكيف أنه سرق أغنامه وتصرف بها كما يشاء ؛ ثم ينتقل

إلى الكلام عن بتلان وما زال ينتقل من بتلان إلى توما ومن الأغنام إلى القماش حتى ضجر القاضي وطلب إليه السكوت .

وهنا تظهر براعة المحامي بتلان ويظهر خبثه ومكره ويستند إلى حالة جيوم النفسية وما ظهر عليه من اضطراب ويتأسف بأن تسمع المحكمة الموقرة إلى مثل هذا الجنون الذي يخلط في كلامه ويتهم الناس الأشراف . فيحتد جيوم ويصرخ مطالبا بقماشه ومطالبا بأغنامه ويظهر اضطرابه في كلامه ، فينتهره القاضي ويطلب إليه بل يأمر بإخراجه من قاعة المحكمة فقد سقطت دعواه لسخافته

وهنا ينتصر المحامي بتلان وتبرئ المحكمة ساحة الراعي توما ويخرج الظافران . ثم يأخذ المحامي بتلان الراعي توما ناحية ويطلب إليه أن يسلمه ثمن أتعابه ، فيقهقه الراعي توما ويجيبه كما أجاب القاضي مقلدا صوت الأغنام « TTT » فيجن بتلان من الغيظ ويحتد مزمجرا ويطلب ثمن الأتعاب فلا يجاوبه الراعي الخبيث إلا (TTT) !

عبد الغني الأنباري
جامعة فؤاد الأول كلية الآداب

بمناسبة المولد النبوي :

تطور البديعيات
في مدح الرسول

للأستاذ حامد حفني داود الجرجاوي

كان للقرآن في صدر الإسلام معجزته الكبرى حين نشأت علوم اللغة والأدب لتفسر وجوه إعجازه وتوضح بلاغة آياته وسوره . وبسبب هذه الأجواء العلمية — التي حاكها حولها ونسج خيوطها بين يديه في بلاغته الساخرة وآياته الباهرة — كان الغاية الكبرى التي تنتهي إليها هذه العلوم وتدرس من أجلها هذه الفنون ؛ وقد كانت الوسائل القوية والوشائج المتينة التي تصل بالدارس إلى معاني القرآن وفهم أسراره وكشف مقاصده ، فاللغة والنحو والصرف والبلاغة وغيرها من علوم الأدب — مضافا إليها علوم الشريعة وعلوم الحقيقة — وجدت من هذه الغاية الكبرى مبدأ لتكوينها وسببا قويا لنشأتها ، كما أنها جميعا وجدت من تطور الدراسات القرآنية خطوطا أولية تمثل تطور حياتها وترسم طريق مستقبلها

ولم يكد القرآن ينتهي من أداء هذه الرسالة الإعجازية حتى تضافرت معه قوة جديدة تصور نفس الغاية هي (المدائح النبوية) فقد كان لهذه الأخيرة صداها منذ القرن الأول حين نظم كعب ابن زهير (٢٦ هـ) قصيدة « البردة » بين يدي الرسول الأعظم ، فكانت قصيدته أول قصيدة كلاسيكية تقليدية في مدح الرسول . ثم جاءت على إثرها قصائد الشعراء في القرون المتعاقبة

وفي القرن الثامن اشتقت المدائح النبوية طريقا خاصا بها حيث اصطبغت بالصبغة اللفظية وعني واضعوها بوجوه المحسنات البديعية . ومن هنا حملت المدائح النبوية الرسالة العلمية التي حمل مثلها القرآن في علوم الأدب منذ سبعة قرون مضت . وبينما كانت « رسالة القرآن » رسالة عامة انتفعنا من ورائها في إحياء علوم الدين وعلوم الأدب كانت « رسالة المدائح النبوية » رسالة خاصة انتفعنا بها في تطور علوم البلاغة وفيما أحدثه الشعراء من ضروب البديع التي اصطنعوها في مدائحهم

° ° °

في هذه الحقبة من القرن الثامن أخذ القوم يخرجون مدائحهم النبوية في قالب خاص من علوم البديع حتى سميت « البديعيات » . وكانت هذه البديعيات أشبه بكتب مفردة سجلت فيها فنون البديع وأنواعه ومصطلحاته ، وظلت هذه البديعيات دستور البديع وديوان فنونه وسجل مصطلحاته في سائر القرون التي تلت القرن الثامن حتى وصلت إلى عصرنا هذا

وأول بديعية وصل إليها تحقيقنا في القرن الثامن هي التي نظمها صفي الدين الحلي المتوفى سنة ٧٥٠ هـ ، شرحها صاحبها في كتاب خاص سماه « النتائج الإلهية في شرح الكافية البديعية » . قال ابن حجر العسقلاني : « . . . وبديعيته مشهورة وكذا شرحها ، وذكر فيه أنه استمدها من مائة وأربعين

كتابا »[(١)] وبدأ الحلي بديعيته مستلهما ما جاء ببردة « البوصيري » من ذكر الأماكن الحجازية كذي سلم وسلع والعلم فقال :

إن جئت سلعا فسل عن جيرة العلم ... واقر السلام على عرب بذي سلم

وذلك تقليد قديم احتذاه الشعراء من قبل صفي الدين الحلي ثم أصبح نظاما تقليديا استنه الشعراء لأنفسهم من بعده . وفي هذا البيت يشير الشاعر إلى براعة المطلع والتجنيس المركب والمطلق . ثم ينتقل بك إلى تجنيس التلفيق في البيت الثاني :

فقد ضمنت وجود الدمع من عدم ... لهم ولم أستطع من ذاك منع دم

ويستمر صفي الدين في هـذا النحو حتى ينتهي من بديعيته في مائة وخمسة وأربعين بيتا ، يذكر فيها سائر فنون البديع التي عرفت في زمنه : كالذيل واللاحق ، والتام والمطرف ، والمصحف والمحرف ، واللفظي والمقلوب ، والمعنوي ، والطباق ، والاستطراد ، والتوشيح ، والمقابلة ، واللف والنشر ، والتبديل ، والالتفات ، والهزل الذي يراد به الجد ، وعتاب المرء نفسه ، ورد العجز على الصدر ... وهكذا يسير في بديعيته المشهورة حتى يذكر لنا مائة وخمسة وأربعين فنا من فنون البديع ؛ فيخص كل بيت منها بفن من هذه الفنون . ويختم بديعيته ببراعة الختام فيقول في البيت الأخير منها :

فان سعدت فمدحي فيك موجبه ... وإن شقيت فذنبي موجب النقم[(٢)]

ومن ذلك نعلم أن المدائح النبوية خدمت علوم البلاغة فكانت حافزاً قويا على نمائها وتطورها فوصلت إلى هذا العدد الذي ذكره الحلي في بديعيته . وقد كانت للحلي مدرسة تبعه فيها تلاميذه في تدبيج البديعيات كالصلاح الصفدي (٧٦٤ هـ) وابن جابر الأندلسي (٧٨٠ هـ) الذي وضع بديعيته في مائة وسبعة وسبعين بيتا[(٣)] وعز الدين الموصلي (٧٨٩هـ) الذي وضع بديعية في مائة وخمسة وثلاثين بيتا .[(٤)]

* * *

وفي القرن التاسع كان لابن حجة الحموي المتوفى سنة ٨٣٧هـ من الشأن ما كان لسلفه الحلي في القرن الثامن ، فكلاهما كان زعيم حلبة الشعراء الناهلين من بحور البديع ، وكلاهما كان ذا خطوة في الأدب واطلاع واسع في فنون البلاغة ؛ إلا أن ابن حجة كان كما يحدثنا : ابن العماد الحنبلي والأستاذ بروكلمان — مزريا بغيره من الشعراء ، ينظر إلى شعراء عصره كأحد تلامذته.[(١)] ولقد ولقد كان لديوانه « ثمرات وثمار الأوراق » شأن كبير .[(٢)] وتسمى بديعيته « بديعية ابن حجة الحموي أو تقديم أبي بكر » سار فيها على طريقة الحلي ، وتقع في مائة وعشرين بيتا. ثم شرحها في كتاب آخر سماه « خزانة الأدب وغاية الأرب » .

ونحا هـذا النحو شرف الدين ابن المقري (٨٣٧هـ) الذي وضع بديعية أخرى تقع في مائة واثنين وأربعين بيتاً ، شرحها في كتاب سماه « شرح الفريدة الجامعة للمعاني الرائعة »[(٣)]

* * *

ثم كان من نتيجة دراسة المدائح الدينية في هذه الصورة التي لمسناها خلال القرنين الثامن والتاسع أن تعمق القوم في دراسة البديع دراسة تحليلية خاصة . وبذلك كانت دراسة البديع في القرن العاشر خطوة واسعة تمثل تطور البديعيات في ذلك القرن. فظهرت « الطريقة التحليلية » في دراستها في شخصية عظيمة عرفت بالأبحاث الخاصة والمؤلفات المفردة بالفنون المختلفة — هي شخصية جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ .

وقد بدأ السيوطي بديعيته على عادة الشعراء ببراعة الاستهلال فقال :

من العقيق ومن تذكار ذي سلم ... براعة العين في استهلالها بدم[(٤)]

واختتمها بقوله :

واكتب مدا الدهر في الدنيا إذا حسنا ... حتى أرى عند موتي حسن مختتمي

هي بديعية رصينة تقع في مائة وثلاثة وثلاثين بيتاً عارض فيها بديعية ابن حجة الحموي المسماة « تقديم أبي بكر » . ويلمس

(١) الدرر الكامنة ج ٢ ص ٣٦٩ س ١٣
(٢) بديعية الحلي (انظر ١٢٨ بلاغة ـ مخطوط قديم بدار الكتب)
(٣) بديعية ابن جابر (انظر ٦٨٠ بلاغة)
(٤) لآلىء الترصيع في علم البديع ص ٢٤٦

(١) شذرات الذهب ٧ / ٢١٩
(٢) دائرة المعارف الاسلامية ١ / ١٣٠
(٣) الفريدة الجامعة (انظر ٣٠٠ بلاغة ـ مخطوط قديم بدار الكتب)
(٤) بديعية السيوطي ص ٢ س ٩

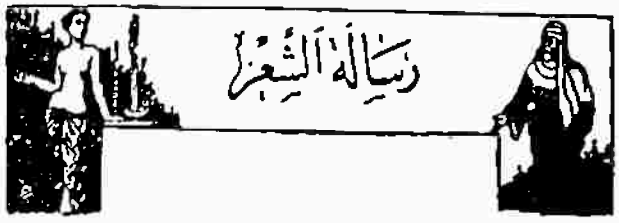

الجبابرة

للأستاذ حسن كامل الصيرفي

أسد القناة اليوم ! مر ... حى بالبطولة عن قريب !
أسد القناة ! وإنهـا ... سخرية القدر العجيب
تتربصون بكل أعـ ... زل مطمئن في الدروب
تتشجعون على الطفو ... لة وهى في الحلم الرطيب
وعلى النساء الهانئا ... ت المحصنات من القريب
وعلى الشيوخ المرهقيـ ... ن الوادعين مع المشيب !
هذى البطولة أين كا ... نت في الشدائد والخطوب !؟
كنتم جبابرة الحرو ... ب أمام جبار الحروب
كنتم نعاجا سائميـ ... ن أمام راعية غضوب
متنقلين من المدا ... ئن، للصحارى، للسهوب
مستقبلين مع الشرو ... ق هزيمة، ومع الغروب
مستسلمين إلى الكهو ... ف ليالى الشر العصيب
مستنجدين بكل مفـ ... تول الذراع فتى صليب
ومحاربون مدرعيـ ... ن وراء أحرار الشعوب !

• • •

أنسيتم عهد الدمو ... ع أمام محراب الصليب
وصياح ذلكم العجو ... ز بكل ميثاق خلوب ؟
أنسيتم « دنكرك » ذا ... ت الهول في اليوم القطوب
ونسيتم الرعب الجسـ ... ـيم فوق ظلكم الكئيب
سابقتم الأمواج فيـ ... ـها في التقهقر والهروب
في « طبرق » الحمراء كنـ ... ـتم شر مهزوم سليب
تتراجعون إلى الورا ... ء على نشيدكم الحبيب :
« في خطة مرسومة » ... بأنامل البطل النجيب
وتركتمو فيها الجنو ... د لكل منطلق مصيب
لولا الكتائب من شعو ... ب الأرض خافقة القلوب
تتقدم المتأخريـ ... ـن إلى الخطوب بلا لغوب
ما كنتم إلا روا ... ية: « كان في الزمن القريب... » !

• • •

قارئها صوراً من طريقته التحليلية . وأنت تحس كثيرا من إعجابه بنفسه حين تقرأ له شرح البيت الأول . قال : « وما أحسن التورية الواقعة في التسمية حيث جعلت براعة العين في استهلالها البكاء بالدم بدل الدمع مع إكثار ذكرها للعقيق وبكائها حتى غلبت الحمرة على الدمع مجانسة للعقيق — ثم قال : وانظر بذوقك ما الفرق بينه وبين قول ابن حجة ... (٥)

وجاء بعد السيوطي جماعة كثيرون تأثروا بروحه التحليلية وأشربوا طريقته فعكفوا على التأليف وأحيوا صناعة التصنيف في علوم البلاغة . فعائشة الباعونية (٩٢٣ هـ) وشيخ الإسلام زكريا الأنصاري (٩٢٧ هـ) وابن كمال باشا الحنفي (٩٤٠ هـ) يعدون جميعا في نظر « المنهج الملي » تلاميذ السيوطي — حكما — وإن لم يحظوا بالجلوس في حلقته والحضور عليه . ولكنهم تأثروا بالأصداء العلمية التي تركها السيوطي في عصره ولحناها في شخصيته

وليس أدل على ذلك من أن عائشة الباعونية التى كانت معاصرة للسيوطي سافرت من دمشق إلى القاهرة لتغترف من بحار العلوم والمعارف حتى أجيزت بالإفتاء والتدريس . (١) ووضعت على الطريقة التحليلية التى استنها أستاذها السيوطي بديعيتها التى تسمى « الباعونية » في مائة وثلاثين بيتا سارت فيها على طريقة السيوطي . كما وضعت أخرى تسمى « الفتح المبين في مدح الأمين » في مائة وسبعة وأربعين بيتا ، منتهجة طريقة السيوطي في الإكثار من البديعيات والعناية بتحليلها وشرحها . وهكذا كان السيوطي وتلاميذه يعنون في بديعياتهم بالتكثر والمقارنة وضرب الشواهد والشرح لكل ما يذكرونه من فنون البديع .

البقية في العدد القادم — عامر حفني داود الجرجاوي

(٥) بديعية السيوطي ص ٢

عرق الوجوه المضرما ... ت من امتصاص دم الشعوب!
سود الصحائف - منذ كا ... ن لكم صحائف - من ذنوب!
كانت شكاواكم تجو ... ب الأرض مشجية النحيب
صورتمو فيها العدو ... بكل تصوير معيب
والله يعلم أن ما ... صورتمو دعوى كذوب
لم يخطف الألمان والـ ... طليان ساعات الجيوب..!
لطختمو شرف الجيو ... ش بكل ألوان العيوب!..

• • •

مهلا «أرسكين» العظيـ ... ـم، وقائد الظلم الرهيب
النار بات أقل ما ... يهدى إلى البطل الطروب
المنتشى يوم الشهيـ ... ـد بكف رعديد نخيب
ومزلزل «الكفر» المتيـ ... ـد بجيشه اللجب الرهيب
المستبد بأمره ... فى غفلة الزمن الجديب
أنت المظفر فى السلا ... م رفلت فى الثوب القشيب!
لم ندر موضعك العظيـ ... ـم زمان كنتم فى الكروب
قل لى بربك، والحديـ ... ـث يطيب فى الجد الحسيب:
من أى ميدان جئـ ... ـت كتائب الجيش الوثوب
الماجنين على الخما ... ر، الساقطين على الحليب!
بمآتم الأسد المصو ... ر على شعاركم الخضيب
ذئبا يغير مع الظلا ... م على النيام أحط ذيب!

• • •

مهلا «أرسكين» العظيـ ... ـم، وما لفنك من ضريب
هذى الشجاعة نلتها ... من أى ناحية أريب
ترغى وتزبد فى القنا ... ة كعاصف اليم الغضوب
قل للجنود الدارعيـ ... ـن الكاشرين زرق النيوب
يترقبون خطى الطريـ ... ـق ويجزمون من الدبيب
ويفاجئون الآمنيـ ... ـن بطعنة اللص المريب:
هلا انتقلتم بالعتا ... د الضخم فى وسط اللهيب!
هـلا دفعتم للخليـ ... ـفة بعض دينكم القريب!
ميدان «كوريا» فيه متسـ ... ـع لأبطال الحروب! ...

حسن كامل الصيرفي

«قصة الحرية»

للأستاذ محمد فوزى العنتيل

فى الظلام الرهيب .. فى غفلة الدهر .. فى يقظة الدم المخمور
فى انتفاض الغصون .. فى عاصف الريح، فى فورة الغلى المسجور
رن لحن مغضب يتنزى .. فى جنون مستكبر .. مقهور ..
فى صدور الأمواج يطفر .. مشبوبا .. ويرتج كالصدى المذعور ..

• • •

حملته الرياح للأفق الغاضب، للبحر، للذرى، للنسور
فكأنى أحس دمدمة الماضى وصوت الأجيال تحت الصخور
تحطم القيد فى جنون وتمضى خافقات الجناح فوق الأثير
إنها قصة الحياة لشعب أبدى الخلود مثل الدهور ..

قصة الدمع والدم . قصة البعث والخلود
قصة الأمة التى حطمت صخرة القيود
طلع الفجر فاروها للربا واعزف النشيد

• • •

أنفس حرة .. تصفق للموت .. وتنهار فى الأغانى الجماح
وقلوب تدق .. فى موكب النصر .. وتحنو على الدم النضاح
حطمت هيكل الظلام .. وطارت .. مطلقات جناحها للصباح
حطمت قيدها العتى .. وهبت .. تنشر الهول فى الربى والبطاح
فإذا البحر مارج من دماء .. ظامئات إلى اللقاء المتاح
وعلى الأفق روضة من ورود ... قانيات ... ترف فوق الجراح
وكأن السحاب شب حريقا .. يتهاوى على عزيف الرياح
إنها قصة الكفاح لشعب ... باركته السماء يوم الكفاح

عاصف جن فارعى فى شعاب الردى الكئيب
أشعل الحق روحه فتأبى على الخطوب
ومضى ينسج الظلال وانثنى يغزل اللهيب

• • •

... ومضى الركب ... والحتوف حواليه ... جحيم يطير فى أجوائه
وهتاف الأحرار فى مسمع الكون ... نشيد مخضب بدمائه

ولهيب المنون يزحف فى الشاطئ ... ظمآن كالحريق التائه ...

. . .

وقف الدهر ضارعا لأسى طافل شهيد مانع بنقائه
فى الاظى المشرئب ... عانقه الصبح ... فذابت أشواقه فى ضيائه
هجر الروض ... والمصافير ... والنهر ... وحلما يرف فى أحنائه
ومضى والنهار ... وهم بعينيه ... كطيف الغروب عند انطفائه

ظامئ القلب الهنى ... لأغاريده ... لعرسه
حن للزهر ... والربى ... فسقاه الردى بكأسه
أطلق الموت أسره ... وغدا يومه كأمسه

. . .

لست طفلا .. فأنت طيف جميل .. عبر الأفق عازفا أنغامه
لست طفلا .. فأنت روح نبي .. غادر الأرض .. حاملا آلامه
صفقت روحه الطاروبة للموت ... وضجت أفراحه المستهامة
وبعينيه للصباح ... حنين ... كرفيف الأزاهر البسامة
وربيع الخلود فى قلبه الضاحك ... روض ... وجدول ... وغمامه ...
فى ظلال الغصون .. نامت لياليه .. وغامت أوراقها أيامه ..
صافح الشاطئ الحبيب .. وأغفى .. وعلى ثغره خيال ابتسامه
وغدا ... قصة الدموع سترونى : للاله العظيم ... يوم القيامه

. . .

ومضى الركب طاويا ... شاطئ الدمع ... والنواح ...
بين قلب ممزق ... ذاب فى ثورة الرماح ...
ويد تحجب الردى ... ويد تغسل الجراح ...

. . .

عبر الشاطئ الجريح فرنت ... صدحات البلابل المحزونه
وتمطى النسيم فى مئزر الروض ... وهبت عطوره المفتوحه
واستطار النشيد ، كالتفت النهر ... وثارت أشواقه المجنونه
وانحنى فوق زهرة عانقته ... وتهاوت أوراقها مستكينه
إنها الزهرة الشهيدة تروى ... قصة الروض للضفاف الحزينه
نسجت عطرها الخلى جناحا ... أطلقته على ضباب السكينه

. . .

أيها النهر بين جنبيك قلب ... مستهام الرؤى يذيب أنينه
إنها الزهرة الشهيدة فانضح قلبها بالندى ... وأطفىء شجونه
ذاب فى عطرها الأسى ... مات فى روحها الأنين
عبرت شاطئ الردى ... بجناح ... من الظنون
هى رمز مقدس ... سوف يبقى على السنين

. . .

سمها ما تشاء لست أراها ... فى فنون الأسماء ... والأوصاف
هى معنى فى خاطرى للبطولات ... وللمجد ... والخلود الضافى
هى إن شئت ابنة النيل .. شبت .. فى الرياض العذراء فوق الضفاف
فى رفيف الضياء ... أنبتها الفجر ... على شاطئ الغدير الصافى
وسقاها النبع الإلهى ... خمرا ... من عبير الخمائل الرفاف
فسرى لحنها المطار ... روحا ... ذاب فى خفقة النسيم الشافى

. . .

زهرة النيل ... وابنة الشاطئين ... ونجوى الحمام المصفاف
وهبت عمرها ... لمجدك يا مصر ... لمجد الأجيال ... والأسلاف

. . .

ودنا الفجر فاحتمى ... شبح الليل بالغصون
وسرت نفحة الربا ... تنشر العطر ... والفتون
ومضى الركب سابحا ... فى رؤى الشاطئ الحزين

. . .

أشرق الفجر بالضياء ... وطيف الليل يحبو على الضفاف الحبيبه
وتهادى النشيد ... فى مزهر الأفق فى هدأة الليالى ... الرهيبه
عانق النهر ... والخمائل ... وهنا فتغنت به المروج القشيبه
ودنا موكب الصباح ... وهبت نسمات ... مرنحات ... رطيبه
بعد أن ذابت النفوس حنينا واستبدت بها الظنون المريبه
أيها الطائر الحوم ... صفق بجناحيك ... للدماء السكيبه ...
حان يوم الخلاص فابسط ذراعيك للأفق ... للسماء الرحيبه
إن هذى الدماء ... مهر شعب يسترد الحرية المغصوبه

محمد فوزى العنتيل

المسرح استثارة الواقع .. وليس الواقع..

الأستاذ زكي طليمات

إنه موضع نظر ، ماذكره الأستاذ الدوياتي وتفضل بالتعقيب عليه محبذا الأستاذ أنور المداوي ، وذلك بشأن مرسم من مراسم العرض التمثيلي ، وهو رفع الستار بعد هبوطه في نهاية كل فصل من فصول المسرحية ، إذ يقف الممثلون يحيون الجمهور المصفق ويردون تحية إعجابه بما يناسبها من إبداء علامات الشكر والامتنان ، هذا الرسم الذي وصفه كل من الأستاذين بأنه خروج على الواقع وأنه يعمل على هدم التجاوب الشعوري الذي يسود الممثل والمشاهد

حق أن هذا لموضع نظر ، بل إنها لمسألة شائكة يتجدد فيها القول ويطول ، كلما حلا لنا أن نغلو في مهمة المسرح من حيث النقلة التي ينتقل اليها الجمهور المشاهد بوساطته ، فنأبى إلا أن نطالب المسرح بأن يقدم لنا صورة من الواقع تتجسد في الاطار المادي للمسرحية وفي شخوصها

تقليد مسرحي سائر :

أما عن هذا الرسم ، وإن شئت فقل هذه الحالة الشكلية التي يتخذها ممثلو المسرحية استجابة لتصفيق الجمهور ، فأقول إنه لا حيلة للمسرح المصري في الأخذ بها ، لأنها وليدة تقليد مسرحي صاحب العرض التمثيلي منذ أن أقام الرومان — وليس الأغريق — ذلك الستار الذي يفصل بين المسرح ومكان النظارة ، والذي يهبط بانتهاء كل فصل من فصول المسرحية ، وقد ساير هذا التقليد العرض التمثيلي في جميع مراحل نموه وتطوره حتى اليوم

فإذا صح أن نطلق على هذا التقليد اسم (تقليمة) لابوه من المعقول ، كما يذهب الأستاذ المداوي — والمعقول مسألة نسبية تتفاوت درجاته وتتباين مقاديره بتباين وجهات النظر إلى الشيء الواحد — إذا صح هذا لدى بعض النقاد الذين ينشدون الكمال المطلق ولا يبالون بتحميل الأشياء أكثر مما قدر لها أن تحمل ، وهذا جميل على كل حال لأنه وجهة نظر مثالية — فلن يجمل بنا — نحن رجال المسرح — أن نراه كذلك . لأننا أدرى الناس بأن المسرح ليس الواقع بحذافيره وإنما هو استثارة للواقع

أقول إن هذا التقليد ، جاء الينا من الغرب ، إذ أننا في مسرحنا ... ولا سيما في هذه المرحلة ، مرحلة النقل والاستساغة واستخلاص الكيان الذاتي لمسرحنا الناشيء — مازلنا نتبع المسرح الغربي ، وخاصة المسرح اللاتيني . وما أظن أن الأستاذ المداوي ينكر أن هذا (التقليد) أو (التقليمة) يجري كل ليلة بأكثر مسارح العالم ، وفي دار الأوبرا الملكية حيث تقدم الفرق الغربية الكبرى أعيان المسرحيات في أبرع عرض تمثيلي

بيد أن واجب إنزال الأمور منازلها الصحيحة يقضي بأن تقرر أن هذا التقليد ، قد تختلف مظاهر تطبيقه تبعا للمزاج العام الذي عليه كل أمة ، وإن كان لا مفر من الأخذ به

فأكثر الفرق الانجليزية والالمانية والدانيمركية مثلا تباشر هذا التقليد على وجه آخر ... فبدلا من أن يحيي الممثلون الجمهور عقب كل فصل من فصول المسرحية ، يكتفي بإتيان هذا الأمر مرة واحدة ، وذلك في نهاية المسرحية ، فترى جميع ممثلي الرواية كبيرهم وصغيرهم ، وقد انتظموا صفا واحدا ، يحيون الجمهور بما يتناسب وحرارة إعجابه وتأثره

هذا لدى الشعوب الشمالية وهي شعوب تتسم بالمستوى الذهني الرفيع ، وبالرزانة العاطفية وبالاعتدال في التعبير ... ولا أقول (بالبرود)

وإني أميل إلى الأخذ بهذا لأنه أجدر بالممثلين وأكرم للجمهور وأحفظ لرواء الفن وليس لأي سبب آخر مما يتصل بهدم الواقع أو سواه ، بل لقد أخذت به فعلا في النادر من المسرحيات التي قدمتها في أول عهدي بالاخراج المسرحي ، ولكنني لم أوفق إلى إرضاء الجمهور والممثلين ، فأقلعت عما أخذت به والأسباب معلومة معروفة ... ولا عجب ... فنحن شعب يستخفنا الطرب أيما استخفاف ، وتطير بلبنا الهزة لأننا فطرنا على الاستجابة السريعة المبادرة التي يبطنها طبع صاخب حاد

هذا ما يحضرني قوله في هذا التقليد ، وهو تقليد أراه يرتفع إلى مرتبة الرائع ، لأنه مستمد من طبيعة فن الممثل نفسه ومن مزاج الجمهور الشاهد

فالممثل ، وهو عراض ماهر لختلف المشاعر الانسانية عن طريق المحاكاة ومحاولة الفناء في شخصية الدور الذي يؤديه يستهويه أن يرى أثر مايعرضه على الجمهور الجالس أمامه والشاخص اليه بكل جوارحه ، بل إن الممثل ليستهدي في أكثر مواقف دوره بهذا الأثر الذي يبديه الجمهور ليتابع أسلوبه في الأداء ، أوليبدل فيه أو ليطرق أسلوبا آخر

والجمهور بدوره ، وقد حضر التمثيل ، مغرى بأن يستجيب إلى الأثر ينسجه الممثلون عليه ، مدفوع إلى أن يبدي اعجابه وعجبه بمن يرى ، فكأننا والحالة هذه أمام استجابة حارة متبادلة بين الممثلين والنظارة ، فلا حيلة — والأمر ههنا رهينا ماقررنا — أن تغير من طبيعة الممثل والجمهور . وإن صح لنا أن نضع لهذا وذاك معالم وحدودا بحيث لا يجفوها منطق العرض التمثيلي ولا (معقوليته) المرنة السمحة . وقد وضع الأقدمون من فقهاء المسرح هذه المعالم والحدود ، جاء هذا التقليد الذي أسلفنا ذكره وأوضحنا مظاهره المختلفة لدى (اللاتينيين) ولدى أهل الشمال

وإنه ليطيب لي بعد هذا أن أسأل الأستاذ الدواي ، وأن أسأله مخلصا — لأنني أحب دائما أن أتعلم — أسأله ماالذي يقترحه في هذا الصدد . هذا مع اعترافي بأنني لم أر ولم أسمع ان هناك تقليدا مسرحيا يقضي بأن لا يرفع الستار عقب انتهاء أحد فصول المسرحية أو في نهاية فصولها ليستجيب فيه الممثلون إلى تصفيق الجمهور وهتافه فيظهرون أمامه وقد نحوا عنهم مسوح الأدوار التي كانوا يتقمصونها وأخذوا يردون التحية بما يناسبها

المسرح استثارة الواقع :

قلت إنه يحلو لنا أحيانا أن نرى فيما يقدمه المسرح أحياء كاملة من الواقع ... ولا سيما في مصر ، وذلك لأن العرض التمثيلي فيها ، جاءها في العقد الثامن من القرن الماضي ، متأثرا بالمدرسة الرومانسية وهي واقعية التاريخ ، وهي أيضا غلبة العاطفة على العقل ، وهي المدرسة التي كانت تسود عالم الأدب والفن في فرنسا . ثم تلا ذلك تأثير المدرسة الواقعية التي اشتط اصحابها في مهمة المسرح فحاولوا أن يجعلوا منه (قطعة من الحياة) ، ولكن هذه وتلك ، مدرستان لم يبق لهما في الأدب والفن كبير أثر . ولا سيما بعد أن أخذت مكانها اتجاهات أدبية وفنية جديدة

هل المسرح هو الواقع ؟ هل المسرح هو الحياة ؟ ولكن أي واقع وأية حياة ؟ ومتى كان الفن لهذا قادرا ومقدرا ؟ هذا مالا يعلمه أكثر الجمهور ، ولكن الذي أعلمه أن النقد المسرحي في مصر يجري حسابه تبعا لهذا الشعار ... ومن هنا يأتي نقد الأستاذ الدواي ، وهو نقد يتلخص في أن رفع الستار مرة أخرى بعد اسداله عقب انتهاء كل فصل يؤدي إلى (اللانفعالية الفاجئة لدى النظارة ، مما يحول بينهم وبين التعاطف والاندماج في اللحظة التي أوشك أن يتم فيها التعاطف والاندماج)

فالأستاذ الدواي قد اقتعد مكانه في الصالة وهو موقن بأنه سيرى الحياة منقولة فوق المسرح نقلا كاملا ، فإذا تأثر بما يرى فلا يصح أن يقطع عليه تأثره تصفيق من الجمهور ولا ستار يرفع بعد أن يسدل ليظهر الممثلون بعد ذلك يحيون الجمهور . فإذا وقع هذا جاءت نقلته منغصة عليه مزاجه ... وكان له أن يحتج ، وفي الحق أنه غير ملوم في شعوره هذا

غير أنني أعتقد أنه كان يرى هذا شيئا ماديا لو أنه اتخذ مكانه في الصالة وهو موقن أنه سيشاهد (تمثيلا) أي مظهرا من مظاهر فن التمثيل ، وعرف أن فن التمثيل ، وشأنه شأن سائر الفنون ، لا يقدم (الطبيعة) وإنما يقدم مظاهر (الوجود) ، وأن كل فن جميل يتخذ من الحياة وكازا ، ولكنه لا يعطي حقيقة الحياة كما هي ... وأن الفن إذا أحيا الواقع على المسرح ، فإنما يكون هذا بطريق الاستثارة لا النقل ، ولو أراد الفنان أن ينسخ الواقع نسخا دقيقا لأعجزته الوسائل . وإذا افترضنا أن واتته تلك الوسائل فإن نتاجه يكون غير رفيع لأن كل عمل فني إنما يقوم على التركيز (synthèse) والتركيز ليس من الواقع ، وكل عمل فني يخضع لقيم ومعايير ، إن استلهمت من الطبيعة فإنها ليست الطبيعة منقولة منسوخة بعينها . ومما لا شك فيه أن العمل الفني لو جاء صورة فوتغرافية من الواقع ، لزهد الناس في مطالعته ، ولاستغنوا عنه بالواقع المبذول أمامهم

وواقعية المسرح ، وهي مناط القول في هذا ، خاضعة بدورها لما تقدم ذكره ، ويزيد عليها أن إمكانيات المسرح في نقل الواقع قاصرة محدودة ، فالمسرح مناظره من القماش أو

الورق المصور، وهذا غير الواقع، وهذا غير حقيقة الأشياء كما هى فى الحياة

ويمثل دور (هملت) قد يكون مصريا أو انجليزيا ، ويلعب دوره باللغة التى يتكلمها ، هـذا فى حين أن (هملت) دانمركى المولد والنشأة ولا يتكلم غير اللغة الدانمركية

وفوق هذا ، فإن المسرحية نفسها لا يتتابع فيها الحوار ولا ينعقد كما يتتابع فى الحياة ، إذ ليس من الحياة الواقعية أن تنتظم مشاهد الرواية كما أوردها مؤلفها بعد أن أخذ بالتركيز والإجمال ، والتقديم والتأخير ، والحذف والإثبات ، ابتغاء الوصول إلى هدفه فى الحدود التى ترسمها شروط فن كتابة المسرحية

وعليه يمكننا أن نقرر أن كل ما فوق المسرح إنما هو مظاهر لعناصر مستلهمة من الحياة والواقع تشابكت لإحياء صورة من الوجود (existence) وتعاونت لاستثارة الواقع وليس لنقله ونسخه ، وهى فى كل هـذا تنسخ تأثيرها علينا بطريق التمويه أو الإيهام (illusion)

والتمويه يشعرك بوجود الشئ ولكن بطريق عرض مظاهر وجوده ، وليس بعرضه على حقيقته وواقعيته فى الحياة

وما دمنا أمام المسرح ، نعيش فى عالم الاستثارة والتمويه ، فلن يعمل ارتفاع الستار بعد سدله فى نهاية كل فصل من فصول الرواية وظهور الممثلين يحيون المشاهدين ، لن يعمل هذا على قطع التعاطف والاندماج بيننا وبين الممثلين ، لأن هذا وذاك قائم فينا منذ بداية الرواية

ولو صح هذا فى المسرح ، وأردنا تطبيقه على فن التصوير ، لكان علينا أن نعلق اللوحات المصورة فى الهواء وبلا إطار ، بدعوى أن رؤية الحائط الذى علقت عليه الصورة ، وأن مطالعة الإطار الخشبى الذى يحوطها ، يقطعان علينا تيار الانفعال الذى يكون قد سرى فينا ، إذا اندمجنا بكليتنا فيما أجرته ريشة المصور

وأعود إلى المسرح فأتساءل من الذى جعل الستار يرتفع بعد هبوطه ودفع بالممثلين إلى مقدمة المسرح يحيون الجمهور ؟

أليس هو الجمهور نفسه وقد أخذ يصفق ويهتف مطالبا برؤيتهم ؟ ولماذا فعل هذا ؟

فعل هـذا لأن الممثلين استطاعوا أن يموهوا عليه بتسجيل مظاهر الحياة والوجود للشخصيات التى يلعبونها ، لأنهم قدروا أن يؤثروا فيه بأدائهم المتقن ، فأعجب بمقدرتهم بعد أن سرت إليه الهزة التى أحسوها وهم متقمصون شخصيات أدوارهم . فعل هذا لأنه ، على تأثره بما رأى ، يعلم أنه يشاهد تمثيلا ، لا واقع حياة ، وإلا لما ألهب يديه بالتصفيق ، لأننا فى الحيـاة الواقعية لا نصفق لما نتفعل به

ويسعدنى أن أزيد على ما تقدم ، أن المسرح فى تطوره الأخير ، ولا سيما بعد أن قامت السينما تنازعه البقاء وتم لها الفوز فى أن تنقل الحياة نقلا فوتغرافيا فى أشرطتها ، أصبح المسرح يلوذ بمصادره الأولى القائمة على الرمز والإيحاء والتركيز البالغ فيه ، ثم إشعار الشاهد بأن ما يشاهده إنما هو مسرح وليس (الواقع) حتى ينفرد المسرح بطابع لا يستطيع أن ينتزعه منه الفن السينمائى

ففى روسيا – ومنها تأتى أحدث الاتجاهات فى الإخراج المسرحى – نجد أعيان المخرجين أمثال (تايروف) و (فاجتنجوف) يعمدون إلى وسائل جديدة فى سبيل هذا وإلى القارئ صورة من العرض التمثيلى فى (المسرح الأكاديمى بموسكو) وهو المسرح الرسمى

المسرح عار من الستار ... أى الستار الذى فى المقدمة كما هو الحال عندنا ، والظلام يغمر هذا المسرح بحيث لا يرى الشاهد شيئا مما يحتويه ، فإذا جاء ميعاد التمثيل أضئ المسرح تدريجيا فإذا بنا نرى عمال المسرح يقيمون المنظر ، وينظمون الأثاث الخ ، فإذا انتهوا ، ظهر جميع ممثلى الرواية وهم ينظمون ثيابهم ويثبتون شعورهم المستعارة ، وقد يوجهون إلى الجمهور حديثا عن الرواية ، ثم يسود الظلام المسرح مرة ثانية ، وبمعاودة إضاءته يبـدأ تمثيل الرواية

قد تعجب من هـذا لأننا أرقاء الواقع ، إذ خفيت عنا مصادر العرض التمثيلى فى مراحله السابقة ، قبل أن تأتى هـذه المدرسة الواقعية التى أصبحت الآن لا تتحكم بمؤثراتها القاصرة إلا فى البلاد التى عرفت التمثيل فى أواخر القرن الماضى

وبعد ، فأرجو أن أكون وفقت بعض الشىء فى أن أجلت ما يحتاج الاسهاب فيه إلى مقالات طويلة

وشكرى مزدوج للأستاذ المداوى إذ أتاح لى فرصة الحديث فى هذا ، وإذخصنى بشارة من ثقته التى سأعتز بها دائما . وأرجو أن يكون المسرح المصرى نصيب من قلمه المنصف ومن لفتاته البارعة

زكى طليمات

المسرح المصرى

فى خدمة العقيدة الوطنية

الى الأستاذ زكى طليمات

للاستاذ على متولى صلاح

آفتان خطيرتان من آفات النقد يبدوان فى الأغلب الأعم مما يكتب عندنا : أولاهما الانحراف بالنقد إلى الناحية الشخصية والجنوح به نحو التهكم والتجريح . وأخراهما تحميل الكلام مالا يحمل والذهاب به إلى أبعد مما يقصد الكاتب ثم مؤاخذته على هذا المدى البعيد الذى أنشأه المؤاخذ نفسه من نسج خياله !

هاتان الآفتان ركبهما معى الأستاذ الجليل زكى طليمات فى تعقيبه على الكلمة البريئة التى كتبتها فى العدد الأسبق من « الرسالة » أحدد فيها مدى إسهام مسرحيتى « مسمار جحا » و « دنشواى الحديثة » فى خدمة العقيدة الوطنية

أما ما كتبه الأستاذ عن شخصى وما تفضل فرماني به من نقص وهوى وجور وإقساط وما إلى ذلك فأسقطه من حسابى فشخصى أهون شئ على ، وللأستاذ الفاضل أن يرمى منه فى كلا مباح !

وأما ما كتبه فى الموضوع مناقشا به الرأى الذى ذهبت إليه فى مدى تعبير هاتين المسرحيتين عن العقيدة الوطنية ، وفى مدى قيام مذهب « الفن للفن » l'art pour l'art فى حياتنا الراهنة اليوم ، فذلك ما سأقصر الحديث عليه فى إيجاز :

١ — يأبى الأستاذ إلا أن يقرر أن مذهب « الفن للفن » ما زال موجودا فى الحياة ، وأن الحرب ما زالت قائمة بينه وبين مذهب « الفن للحياة » ويؤكد أن الغلبة لم تكتب لأحدهما حتى الآن ... ولا أفهم معنى لهذا التشبث بذلك الرأى وقد انقضى مذهب « الفن للفن » بانقضاء القرن التاسع عشر ، وصار مفهوما — كما قلت فى كلمتى السابقة — أن الفن « الخالص » مرادف عاما للفن « الفارغ » ! والشواهد قائمة من حولنا فى كل ما يكتب الكتاب المعاصرون فقد أوغلوا فى الحياة يتناولون مشكلاتها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية من كافة نواحيها ، وانتهى عاما عهد الأدب الذى لا يقوم إلا على الزينة اللفظية والمواكب البلاغية ، وصارت هذه الأشياء بمثابة المحفوظات التى نراها فى المتاحف ودور الآثار ! ونزل السادة الأدباء من أبراجهم العاجية وانهارت هذه الأبراج وغشوا الأسواق وجابوا الطرقات يلتمسون الإنسان فى صورته العادية النابضة بالحياة . ولا أدرى أين هم الكتاب (الذين ما برحوا يعالجون الآداب من أبراجهم العاجية) كما يقول الأستاذ الجليل ! أين هم ؟ وما آثارهم تلك ؟ إننا — وفوق كل ذى علم عليم — لا نعرف واحدا فردا له احترامه أو مكانته فى عالم الأدب اليوم من هذا النوع العاجى الذى لم يهبط الأرض ولم يمس ثراها بقدميه الناعمتين ! ويذهب الأستاذ الجليل إلى أن هذين المذهبين يعالجان (أسلوبين من أساليب التعبير فى جوهره) والذى أعلمه أن الفرق بين هذين المذهبين ليس فى الأسلوب والتعبير ، وأن كلا منهما لا يقوم على طريقة خاصة فى الكتابة ، بل إنه لا علاقة لهما بتاتا بالأسلوب والتعبير ولكنهما يقومان على طريقة فى التفكير والموضوع : فأولهما يقوم على فكرة أن الفن لا علاقة له بالأخلاق وأنه لا يجوز أن يوضع الفن فى خدمة المجتمع لأن الفن فى ذاته غاية لا وسيلة ، وأن واجب الفنان (هو البحث عن الجمال وحبس هذا الجمال فى إطار) كما يقول أسكار وايلد

وثانيهما يقوم على أن الفن وسيلة كبرى من وسائل إصلاح الحياة وعلى أن رجال الفن والأدب مسئولون عن كل ما فى الحياة من نقص وظلم وفساد ، وأن عليهم نقع — أول ما نقع — نبعة ذلك جميعه وأن الفن الذى لا يعالج أدران الحياة هو فن فارغ لا معنى له ولا نفع فيه

فأين الأسلوب والتعبير من هذا ؟

٢ — ولا أدرى لماذا لا يختار الأستاذ فى حديثه عن (الوجودية) إلا ما قاله أشد الناس عدلوة لها ؟ ولماذا يرميها بأنها « نظريات فلسفية قائمة ولفتات اجتماعية لا تخلو من الشذوذ لأنها قامت على أنقاض انهيار نفسى نزل بالنواحى الاجتماعية الأوربية بتأثير الحرب الكبرى الماضية » ... وهى ليست من

كل ذلك فى شئ ؟ لماذا يقف منها هذا الموقف وهو العليم بعناصرها الطيبة الكريمة وبقواعدها السليمة الصحيحة ؟ أيكون ذلك من الأستاذ الجليل لمجرد أن يدحض رأينا ويفند قولنا ؟ إن كان ذلك فما أحب إلى نفوسنا أن يكون لسانه علينا وقلبه معنا ! إن الأستاذ يعلم دون شك أن الوجودية تقوم على الحرية المريضة لبنى البشر ، وتحميل الإنسان — مادامت له هذه الحرية — المسئولية كاملة غير منقوصة ، وأنها تقوم على الرجولة والصراحة ونبذ النفاق والضعف ... وإن زعيمها « جان بول سارتر » ليسعى جاهداً لتكون الفلسفة والأدب « خير معين لبنى البشر على رسم صورة العالم الذى يسعدون بالعيش فيه . . . وعلى توجيه نشاطهم وتسديد خطاهم نحو نوع الحياة التى يرضاها لهم ويرضونها لأنفسهم »(١)

ليست « الوجـــــودية » شذوذاً وانحرافاً كما يرميها بذلك أعداؤها الألداء الذين أعيذ الأستاذ الكبير أن يكون منهم ؛

وإن شرح ماق هـذا المذهب من المزايا الجليلة يطول . ولو تفضل الأستاذ فقرأ كلمتين كتبتهما عن هذا المذهب فى العددين ٩٣٩ ، ٩٤٣ من «الرسالة» لعدل من رأيه كثيراً ولآمن بأنه مذهب ينبغى الالتفات إليه ودراسته

ثم إن « الوجودية » لم تقم (على أنقاض انهيار نفسى نزل بالواعية الاجتماعية بعد الحرب الكبرى الماضية) ولعل الأستاذ يقصد « السوريالية » لا « الوجودية » فهى التى قامت على أنقاض هذه الحرب الكبرى منذ سنة ١٩١٨ إلى سنة ١٩٣٩ م تقريباً ... قامت على أنقاضها وبسببها وفى ذلك يقول « أندريه بريتون » وهو من زعمائها الأولين « قامت الحركة السوريالية على فكرة تبغيض الحرب وتثبيط همم الرجال عن القيام بها إن دفع بهم المجتمع يوماً إلى خوض غمارها »

٣ — أما ما قرره الأستاذ الجليل من أن كلامى « ينصب ظاهره على المسرح المصرى عامة ويهدف باطنه إلى النيل من فرقة المسرح المصرى الحديث » فالحق أن هذه تهمة خطيرة كنت أود أن يقف الأستاذ طويلاً قبل أن يرمينى بها هكذا فى يسر وسهولة استجابة منه لوشاية حقيرة صغيرة . ولو أننى كنت ذا هوى لـكان هواى مع هذه الفرقة لا عليها ، فلى بها من الصلات ما يعلم أمره الأستاذ الجليل ، وما أرانى إلا عضواً فى أسرتها ، ولبنة فى صرحها الذى أرجو أن يسمق ويطول

وهل أنا إلا من غزية إن غوت   غويت وإن ترشد غزية أرشد

وليعلم الأستاذ الجليل أننى لست ممن تشترى نفوسهم وأقلامهم ، ولست من الذين إن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون !

ولعل كاتباً لم يكتب فى الاشادة بهذه الفرقة مثل الذى كتبت عنها . وليس أطمع فى ذلك من أن أحيل الأستاذ الجليل على ما كتبت فى « الرسالة » بعددها الرقيم ٩٣٨ الصادر فى ٢٥ يونيو الماضى عند حديثى عن مسرحية « حورية من المريخ » فقد قلت محييا هذه الفرقة ما نصه :—

« تحية طيبة نبعث بها إلى تلك الفرقة الناشئة الشابة المتوثبة من فوق منبر « الرسالة » ونعنى بها فرقة « المسرح الحديث » التى ظهرت خلال هذا الموسم كما تظهر بوا كير الندى وكما تتفتح براعم الورود فتجلو كامن الحسن وخفى الجمال

أخذ الناس اشفاق على تلك الفرقة يوم رأوها تنتظم عصافير ناعمة بضة حسبوها تزقزق على خشبة المسرح فلا تبين ، وتهتز الخشبة من تحتها فلا تثبت ، وقالوا من أين لزغب القطا أن تقوى على ما تنبهر أمامه أنفاس النسور ، ومن أين لظبى الأفق أن ينهض بما يعيا به الأسد الهصور

ولـكن هؤلاء المشفقين انقلبوا مشدوهين معجبين عندما رأوا هذه الفرقة تنهض بالروائع لـكبار المؤلفين من أمثال : موليير وتشيخوف وتيمور ، وتنهض بها نهضة يرى الناس فيها بحق أن الأمر لو كان بالسن لـكان فى الأمة من هو أحق من أمير المؤمنين بمجلسه كما قال الغلام العربى القديم

وتنهض بها نهضة يبدو فيها — أظهر وأبين ما يبدو — معنى التضامن وفناء الفرد فى سبيل المجموع ومعنى نكران الذات ، فما رأينا واحداً منهم حاول فى موقف له أن يسطع على حساب زملائه أو أن يسلب أخاه مجداً يراه حقاً له . ولعل مرد ذلك فيهم إلى ما تلقوه من ثقافة ومعرفة حرمها الكثير من رجال المسرح الأقدمين

(١) الكلام الذى بين الأقواس منقولا من مقدمة رواية الذباب لجان بول سارتر ترجمة الدكتور محمد القصاص

فهل من الانصاف أن يقال عن رجل يصدر عنه هـذا الكلام إنه يريد النيل من هذه الفرقة ؟

على أن الأستاذ الجليل يستطرد فيتهكم بي ويغمزني غمزة يحسبها تنال مني إذ يقول « إن هذه أول مرة يطالع لي كلاما عن المسرح » ! وليس عجيبا ألا يقرأ الأستاذ شيئا مما أكتب من فصول في الأدب والنقد والشعر منذ سنوات بعيدة ، ولكن العجب كل العجب ألا يقرأ — على الأقل — هذا الكلام الذي قدمت وهو يمسه ويمس فرقته مسا مباشرا

ولولا أني أمقت أن أتحدث عن نفسي لدللت الأستاذ على مئات ومئات من الكلمات التي كتبت هنا وهناك منذ أكثر من خمسة عشر عاما ، ولكن هذا انحدار بقدري لا أرضاه لنفسي

ويزيد الأستاذ فيأخذ علي أنني لم أحاسب الفرقة الأخرى التي لم تقدم شيئا يتجاوب مع ما يستبد بنفوس الجمهور ، وهو يعني بها فرقة الأستاذ يوسف وهبي . وهذا كلام له خبيء ! فأرجو أن يعلم الأستاذ أنني لا تربطني بواحد فرد من أعضاء هذه الفرقة أقل رابطة ، ولو أن هذه الفرقة ادعت أنها قامت بشيء في سبيل خدمة العقيدة الوطنية لكان مسابنا لها عسيرا ، ولكنها لم تفعل ، وليس في وسعنا أن نأخذ الناس بغير ما يأخذون به أنفسهم . على أنها في ذلك مقصرة مسرفة في التقصير دون شك

٤ — ونعود بعد هذا إلى موضوع المسرحيتين اللتين يذكر الأستاذ عنهما أنهما « من أقلام مصرية حاذقة أحست النبض الذي يدق في قلب كل مصري فجاءت كل مسرحية منهما تعكس في مشاهدها صورا ورؤى مما يمر برؤوسنا في هذه الفترة العصيبة من حياة مصر » واست أعيد هنا ما قلته في كلمتي الأولى من أن كلتيهما لا تعبر تعبيرا صادقا تاما من هذه المعاني ؛ ولكني أزيد فأقرر بأنني عندما أعلنت رأيي هـذا للصديق الكريم مؤلف « مسمار جحا » ذكر لي أنه لم يؤلف مسرحيته في هذه الأيام ولكنه ألفها منذ عام ، وأنها بين يدي الفرقة منذ ألفها ، وأنه لم يكن يقدر عند تأليفها أن الأمور ستجري في مصر على هذا النحو الذي جرت عليه من إلغاء المعاهدة وما تبعه ، بل إنه لآسف أن يقع تمثيلها بعد إلغاء المعاهدة وهو إنما أراد بها أن تمثل قبل إلغائها ! وتفضل فاستمع لرأيي هذا في رضى وقبول حسن .

فهل حقا كانت بين يدي الفرقة في هذا الوقت الذي يقرر مؤلفها الفاضل أم إنه أراد بها أن يعكس ما يمر برؤوسنا في هذه الفترة العصيبة ؟

وأما الثانية فقد أخبرني مؤلفها الفاضل بأنها ليست جديدة ولكنها كانت تمثيلية إذاعية ، فطلب إليه الأستاذ الجليل زكي طليمات أن يجعلها مسرحية للتمثيل وحدد لها مدى لا يعدوه وجعله خمسة عشر يوما فقط ! وذكر لي الأستاذ المؤلف عندما تفضل فدعاني لشهودها في « اللوج » الخاص به في أول ليلة قدمت فيها ، قال لي على ملأ الناس ما يكاد يكون نصه : إنك ماض الليلة لتراني في أسوأ حالاتي ! فهل كنت متجنيا ظالما في هذا الرأي الهادىء الذي أعلنته عن المسرحيتين في لطف وعدم إسراف ؟

ولم أشأ أن أقول ياسيدي الأستاذ عن هذه المسرحية — مثلا — إنها تصور المرأة المصرية تصويرا سيئا إذ تجعلها تكف ولدها عن النضال وتمنعه من الاشتراك في كتائب التحرير وتصرخ وتولول عندما يأذن له أبوه بذلك !

لم أشأ أن أقول هذا أو غيره وهو كثير أشار إلى بعضه صديقنا الأستاذ عبد الفتاح البارودي ، ولكن الأستاذ الجليل زكي طليمات يرميني بأنني أعتسف النقد اعتسافا وذلك في الحق منه تجن كبير ، اللهم إلا إذا صح ما يقوله البعض من أن الاستاذ قد أجرى فيها من التعديل والتغيير ما جعله يحس — بينه وبين نفسه — أن تأليفها معزو إليه ، فهو إذن يدافع عن نفسه لا عن المؤلف الذي يعرف الناس أنهاله

ومعاذ الحق أن نجمع بين هاتين الروايتين إلا في المعنى الذي قدمت ، أما دون ذلك فبينهما فرق بعيد .

فالأولى ... وأعني بها مسمار جحا — فن وأصالة وأناة

والثانية — وأعني دنشواي الحديثة — عرض وسرد وحكاية وزجل لطيف ونقل « فوتوغرافي » كما وصفها بحق صديقنا البارودي

وأغلب الظن أن مؤلف الثانية انتفع كثيرا بالأولى في بعض الحوادث والأشخاص ، فالباحث المدقق يلمح ذلك جيدا والاستاذ عذره في هذا فقد ألزم زمنا غير فسيح

في ميزان النقد:

أرض الخطايا

تأليف الاستاذ أمين يوسف غراب

للأستاذ ثروت أباظة

هي مجموعة أقاصيص للقصاص الفنان الأستاذ أمين يوسف غراب. والأستاذ أمين عريق في فن الأقصوصة خبير بأهدافها ذو قلم قوي ... قادر دائما على أن يظهر الملامح الرئيسية التي يريد لها الأستاذ أن تظهر. وتمتاز المجموعة أن أغلب أقاصيصها تهدف كل منها إلى فكرة اجتماعية معينة، والقصاص ذو الفكرة الاجتماعية جريء، والقصاص الذي يستطيع أن يصل إلى هدفه بقصته دون أن يعلن هذا الهدف بالتصريح بل هو يعلنه بالقصة نفسها وبحوادثها وبالحوار فيها، هذا القصاص قدير ... والأستاذ أمين صاحب فكرة اجتماعية، والأستاذ أمين يستطيع أن يصل إلى هدفه بقصته حيث يديرها غير مقيم من نفسه خطيبا اجتماعيا

ياسيدي الأستاذ الجليل:

أرجو أن أخلص من هذه الكلمة وقد استقر لديك أنني لا أنطوي إلا على الحب لك، وأنني أصاب عودا من أن أستتر وأستخفي رأهرب من تبعة ما أقول، وأنني لست من هؤلاء الذين يستغلهم الغرض فيكتبون بعين وينظرون بالعين الأخرى إلى بريقه الوهاج.

والسلام عليك ورحمة الله.

علي متولي صلاح

هو قصاص ذو فكرة إذن.

ان أستطيع أن الم بأقاصيصه جميعا فهي كثيرة لا تستطيع هذه الكلمات الإحاطة بها، ولكنني سأتناول بعضا من الاقاصيص الهادفة إلى فكرة. وقبل هذا التناول لا بد لي أن أذكر أن الأستاذ أمين من الذين يضعون القدر فوق كل شيء، ويلقون اليه بكل مسئولية؛ وهو بعد هذا يهاجمه أشد هجوم. ولقد ساق لنا من الأقاصيص ما يجعلنا نجزع من هول ما يصنع هذا القدر. فلقد قتل الأستاذ أمين أمامنا أرواحا بريئة، نعلم براءتها. وقتل دون أن يهدف بقتلها إلى فكرة إجتماعية، إلا أن القدر غلاب. وأعتقد أن الإصرار على هذا يقعد بنا قعودا كاملا عن محاولة الاصلاح، فاذا بيدنا نحن المخلوقات الضعيفة أمام القدر الباطش الفتاك؟ ما الاصلاح الذي يريده الأستاذ أمين بأقصوصته «الدم الأبيض» مثلا ... وما الإصلاح الذي يريده «براعي الغنم»؟ أنا لا أطلب اليه أن يجعل أقاصيصه كلها هادفة إلى غرض إجتماعي معين، ولكنني أطلب اليه وأصر أن لا يعرض علينا هذه الصور الموغلة في السواد، فالقصاص على أتم حرية أن لا يهدف إلى إصلاح إجتماعي، ولكنه لا يملك مطلقا الحرية في أن يلقي على أيامنا السواد. وليس على شيء من الحرية في أن يهتف بنا كلما رام أحدنا إصلاحا: أن قفوا فالقدر من ورائكم هادم ما تريدون إقامته، مذل منكم الأعناق. أنا لا أطلب اليه أن يجعل أقاصيصه ذات هدف اجتماعي إصلاحي ولكنني أطلب اليه ألا يذكرنا بهذا القدر فتقعد همة تحاول أن تهب، وتخوز عزيمة توشك أن تثب

وللأستاذ أمين أقاصيص بلغت من الكمال مكانا وهي مع ذلك لم تهدف إلى إصلاح إلا أن تطمئن النفس العاملة أن لها أجرها، وإلا أن تبشر من بلاء الله بتشويه في خلقته، أن جمال الروح أثمن من جمال الوجه كما في أقصوصة «حكمة القدر» التي لا بد لقارئها حينما ينتهي منها أن يشعر بأن القدر الغاشم الصاب قد يكون رءوفا كريما.. هي أقصوصة قدرية ولكنها لا تشوه أمامنا القدر ولا تقعد بذي الهمة ولا تخير صاحب العزيمة:

لا بد لى بعد هذا أن أتناول بعضا من تلك الأقاصيص التى هدف فيها الأستاذ أمين إلى فكرة معينة . وإنى لأشايعه فى بعض من هذه الأفكار وأعارضه فى بعض منها آخر ؛ ولكننى عجبت من أربعة مواضع تعارض فيها مع نفسه تعارضا واضحا ؛ فهو فى أقصوصة « وقار التنور » يذكر مقدار الحاجة الملحة للمال وكيف دفعت هذه الحاجة الخباز حارس الفرن أن يلتهم ديكا كان يعد لأحد الباشوات ثم حرق نفسه بعد أكلته . . هو فى هذه الأقصوصة جعل الرجل يدفع حياته كلها فى سبيل أكلة . . الفكرة غريبة بعض الشىء لأن الجوع كان من نفسه سيؤدى بالرجل إلى الموت ، كما أننى أعتقد أن سرقة ديك لا يعاقب عليها بالاعدام الذى حكم به الرجل على نفسه . على أية حال كان الرجل معدما فى أشد الحاجة إلى المال ليأكل ، فسرق وأكل وانتحر .. فى هذه الأقصوصة أظهر لنا عظمة المال وجبروته . ولكنه فى قصة أخرى هى « آفة السعادة » جعل آفة السعادة هى المال نفسه . والحياة بين اثنتين ، إما وجود المال أو عدمه ، فإن كان وجوده تعاسة وإعدامه موتا ، فماذا يرى الأستاذ ؟

أما الموضعان الآخران فهما أشد غرابة فى تعارضهما ؛ فهو فى أغلب أقاصيصه كان يهدف — كما قلت — إلى فكرة اجتماعية جليلة ، ومعنى هذا أنه يرى أن الفن أداة للاصلاح الاجتماعى ؛ بل هو يذهب إلى أبعد من هذا فيجعل بغيته فى سبيل الإصلاح الاجتماعى ولا يمكن أن يكون مصلحا اجتماعيا إلا إذا كان إنسانا يأكل ويشرب ويتزوج . هو إذن من أنصار النظرية السائدة اليوم أن الفن للمجتمع وليس للفن ، وأن الفنان من المجتمع وإلى المجتمع ، ولكننا بعد هذا نراه فى أقصوصة « ثورة الآلهة » وهى أقصوصة رمزية عن فنانة إنسانة . نرى الأستاذ يوسف يحرمها الزواج ويرفعها إلى مصاف الآلهة ، ويريدها فنانة للفن ، وللفن فقط ممثلا فى المجتمع . وهكذا التوت القصة على نفسها فهى إن كانت تعيش المجتمع فلا بد أن تحس به لتنقل ؛ وإن كانت تعيش للفن فلا بد أن تنقطع عن المجتمع وتستلهم الوحى وحده — إن وجد — وهكذا أيضا تتعارض الأقصوصة مع روح الأستاذ أمين

وقد يقول الأستاذ أمين إنه قصاص ينقل ولا شأن له بالمجتمع وهذا الكلام معقول لو لم تتجه أغلب أقاصيصه إلى ناحية اجتماعية معينة . وهذا القول بطبيعة الحال لا ينطبق مطلقا على الأقصوصة الرمزية ، لأن القصة الرمزية فى أصلها فكرة مجردة فى ذهن القصاص ، وأراد أن يعبر فعبر عنها بقصة فهو رمز ، وهى بخلاف الأقصوصة الواقعية التى هى فى الأصل صورة من الحياة تنقل نقلا ، أو صورة ترسم رسما لتشابه صور الحياة

وبعد فالمجموعة تضم أقاصيص بلغت غاية الروعة . ولاينقص المجموعة هذه المآخذ الهينة التى أحاول أن آخذها على الأستاذ أمين غراب ، فأقصوصة « الذباح الحكيم » و « مائة دجاجة وديك » و « الفناجين الحمر » وغيرها ، كلها أقاصيص تؤكد أن الاسم الذى يتمتع به الأستاذ أمين يوسف غراب إنما يدل على أن صاحبه يستحقه ، ويستحق معه كل إكبار وتجلة

ثروت أباظة

صدر حديثا :

دراسات فى الأدب العربى الحديث

١

القصة

فى الأدب العربى الحديث

تأليف

محمد يوسف نجم

أستاذ فى الآداب (M.A) — الجامعة الأميركية فى بيروت
ماجستير فى الأدب العربى — جامعة فؤاد الأول بمصر

فى لبنان حتى الحرب العظمى

وثمنه أربعون قرشا ويطلب من جميع المكاتب الشهيرة

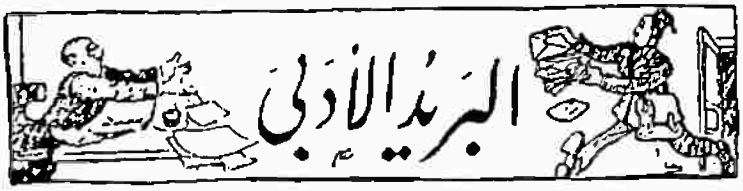

لغويات :

كثيرا ما يجرى عن الأقلام ، ويتردد على الألسن ، ويقع فى الأسماع والأبصار كلمات لا تنهج نهج أصول اللغة ، ويلهج بها اللاهجون ، وينقلها الخلف عن السلف فى غير ما تحقيق وهو منهم قاب قوسين أو أدنى :

١ — قيد :

جاء فى كتاب (نشوء اللغة العربية) تأليف الأب أنستاس مارى الكرملى ص ٢ قوله : وممن قال به ولم يحد عنه (قيد) شعرة » بالفتح وصوابه الكسر تقول (قيد) شعرة — بالكسر — أى قدر شعرة ، كما تقول « فلوة رمح (أى مقدار رمح ، وهى كلها من ألفاظ القياس المكانى . وأما « القيد » بالفتح فبمعنى « رهن » . قال الشاعر . (.. قيد الأوابد هيكل) وهى أيضا واحد القيود من تقييد الدابة أى عقلها ؛ وفى الحديث « اعقلها وتوكل »

٢ — جف الماء :

تعبير خاطىء يقع فيه فطاحل الكتاب ولا يلتفتون إلى موضع الخطأ فيه ؛ يقال « جف العود أو الغصن » أى صار من الليونة والمرونة إلى الخشونة والصلابة والجفاف . واستعمال « جف الماء » بمعنى نشف أو تبخر وزال بلله استعمال خاطىء لا تسمح به اللغة ، وإنما يجوز أن يفهم على معنى صيرورته من المائية إلى الصلابة بصورة « جليد » لأن هذا الأخير هو الماء جف — أى صلب — فصار جليدا متماسكا

والصواب فى استعمال « الجفاف » أن يقال (جف الثوب أو الإناء) أى ذهبت نداوته وأثر الماء فيه . ويقال (جف النهر) إذا زال عن قاعه وجانبيه البلل و (غاض) فيه الماء أى نقص أو زال

٣ — قناة وقنال :

هذان اللفظان يستعمل كل فى معناه المقصود منه ، فأحيانا يقولون ويكتبون (قناة السويس) وأحيانا أخرى (قنال السويس) (١) . والأصوب لغة (قنال) باللام وهى لام التعريف فى المضاف إليه فى قولهم (قنا البحر أو قنا الماء) أى مجراه ، ومن لفظ المضاف ولام المضاف إليه نحتت لفظة (قنال)

أما « القناة » فقد تستعمل بمعنى القنال وإن كانت هذه أصح منها . وهى بمعنى الغصن أو الرمح . قال المتنبى وما أصدق ما قال:

وإذا أنبت الزمان قناة ركب المرء فى القناة سنانا

٤ — الغث والسمين :

هذان اللفظان توأمان إذا قيل الأول تبعه الثانى فى أغلب الأحيان كأنه له الظل . والغث لغة الردىء والمهزول وضده السمين من السمن وهو الاكتناز الحما والتطبيق شحما .. ويخطىء المخطئون فيقولون (الثث والثمين) بالثاء فى الثانية ، وهذا قد يصح استعماله على وجه ويجوز ، ولكن الاستعمال الأول « السمين » بالسين أصح وأصوب لرجحان الضدية والتوأمية فيه وهو المستعمل من قديم

قال تعالى فى كتابه العزيز « فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين » وهو ضد الغث وهو المهزول الضاوى

وقال الشاعر العربى :

فإما أن تكون أخى بحق فأعرف منك غثى من سمينى

أى الردىء من الحسن ..

٥ — نفر ونفز :

يخطىء الكبير والصغير فى استعمال هذين اللفظين ويخلطون بينهما الخلط الفريع وتشاركهم الطبيعة العربية — تصحيفا — فى هذا الخلط . فالفعل بالمهملة بمعنى انتهى وفنى . قال تعالى « قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد

(١) شد الله أزر إخوان الفداء ورحم الله الفيحاء .

البائعة الصغيرة

للكاتب الدانمركي هانز أندرسون

كان البرد يشتد، والثلج ينهمل، والظلام يحلولك، والليل يسدف لينبلج عن صبح عام جديد. وكانت تضرب في بهمة الليل وصبارة القر فتاة حاسرة الرأس عارية القدمين: كانت تنتعل خفين عندما غادرت منزلها، ولكنهما كانتا واسعتين فقد كانتا قبل لأمها. وبينا هي تعبر الطريق أمام عربتين مسرعتين أضاعت خفيها. فأما الأولى فلم تجد لها أثرا، وأما الأخرى فقد خطفها طفل وجرى. فراحت الطفلة تجوب الطرقات وقد تعرت قدماها، واحمرتا من برد وازرقتا. وكانت تحمل في جيب ثوبها العتيق حزما من الثقاب، وفي يمناها حزما، وقد أدبر النهار وما باعت منها شيئا، ولا حصلت ليومها فلسا

كانت تقضقض من البرد وترتعد من الجوع، وتسير متحاملة على نفسها تجر قدميها جرا ... كانت صورة من التعاسة تلك الفتاة المسكينة! وقد تغطي بالثلج شعرها الأصفر المترسل الجميل، وتدلت منه خصلات ناست على جيدها الأبيض الناصع. ولكن تلك الفكرة لم تكن لتطيف بذهنها إذ ذاك؛ فقد كان النور يشع من النوافذ، ورائحة الأوز المشوى تفوح في الفضاء مؤذنة بميلاد

يعد هانز كرستيان عميد الأدب الدانمركي بغير منازع. وقد ذهب صيته نيا وراء وطنه. واشتهر بين كتاب الغرب قصصيا له مذهب خاص في القصة. وكثير من النقاد يحذف «الخرافة» من القصة. إلا ما كتب أندرسون، وقليلون غيره، في هذا الباب. «والبائعة الصغيرة» على الرغم من قصرها قطعة رائعة من الأدب، ومثال دقيق من فن ذلك الأديب.

كلات ربي ولو جئنا بمثله مددا». وقال الشاعر:

أرى العيش كنزاً ناقصا كل ليلة   وما تنقص الأيام والدهر ينفد

ومنه قولهم «فلان خصم منافد» وهو الذي يستفرغ جهده في الخصومة واللدد. وفي الحديث «إن نافدتهم نافدوك(٢)»

أما النفل بالمعجمة فبمعنى شق «لج من هنا ليخرج من هناك كقولهم «نفذ السهم من الرمية». قال تعالى «يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان»

وقال الشاعر العربي:

حتى استكانوا وهم مني على مضض   والقول ينفذ مالا تنفذ الإبر

وكذلك يخلط الكتاب بين (الشذر والشزر) وبين (النذر والنزر) وبين كل متشابهين متجانسين يجوز فيهما التصحيف ولا أقول التحريف

وبعد: فتلكم هنوات لغوية عرضت لها عابرا رغبة في التذكير — والدهر ينسي — وذكر فإن الذكرى تنفع اللغويين كما تنفع المؤمنين وهم مؤمنون. والسلام

(الزيتون)   عرفات

(٢) وتروى أيضا بالقاف.

سهو

نحن طلبة الأرتريين نأسف كل الأسف لعدم ذكر إرتريا المسلمة في المقال المنشور بعنوان «الكتلة الاسلامية والسلام العالمي» بقلم الأستاذ القدير أبو الفتوح عطيفة في العدد الخامس بمناسبة العام الجديد لمجلة الرسالة الغراء

كيف ينسى هذا القطر المسلم الذي يتطلع إلى الحرية والاستقلال، لقد أرسل مندوبين عنه ليمثلاه في المؤتمر الاسلامي في إحدى جلساته بكراتشي

فالرجاء منكم إخطار الأستاذ بذلك مشكورين

عن الطلبة الأرتريين

عبد الله غبار

عام جديد . فانتبذت ركنا منزويا فجثت على ركبتيها ، وتقبعت في مكانها ، والبرد يسري في أعضائها قارسا لذاعا . ولكنها لم تكن لتجرؤ على الذهاب إلى منزلها ، وما باعت من ثيابها شيئا ، فعصا الأب تترقب ، وسقف البيت مهدم خاو تعبث به الريح ، ويصفر فيه الهواء

كان البرد يخدر يديها الصغيرتين ، فتفكر في عود من الثقاب تأخذه من الحزمة ، فتشعله في الحائط ، فتدفئ يديها على لهبه وما تمالكت أن فعلت فأضاء العود بلهب ساطع كنور الشمعة ، فخيل للفتاة أنها جالسة بإزاء موقد ذي ألوان ، له قاعدة من نحاس وغطاء من نحاس لامع . ما أجمل النار تبعث الدفء في الأطراف ، والطمأنينة في النفس ! ولكن اللهب الضئيل لم يلبث إلا قليلا حتى خبا ، فتبخر في الهوى موقدها النحاسي اللامع ، ولم يبق بيدها سوى رماد العود المحترق . فأشعلت عودا ثانيا ، فالتهب فتوقع نوره على الحائط ، فصيره كقناع شف استطاعت أن ترى الحجرة من خلاله . رأت مائدة بسط عليها قماش أبيض صفت عليه آنية العشاء ، وتوسطته أوزة مشوية يفوح منها بخار له نكهة وطيب ، ويملأ جوفها تفاح وبرقوق مجفف . ثم يالله العجب ! لقد قفزت الأوزة من الطبق وتهادت على أرض الحجرة ثم أقبلت على الطفلة وفي صدرها شوكة وسكين ! ثم انطفأ العود فلم تبصر الفتاة إلا حائطا رطبا سميكا باردا ، فأشعلت عودا ثالثا فإذا هي جالسة تحت شجرة جميلة من أشجار عيد الميلاد تشتمل على أوراقها آلاف من الشموع ، فتضمر بنورها صورا ملونة جذابة كتلك التي كانت تراها في المكتبات ، فمدت الفتاة يديها نحوها فانطفأ العود ، وارتفعت أنوار عيد الميلاد ، فرأتها الفتاة نجوما في السماء ، سقط أحدها فرسم خطا طويلا من النار ، ففكرت الفتاة الصغيرة : الآن يموت أحد . فكذلك علمتها جدتها العجوز التي درجت إلى القبر وما كان للطفلة غيرها يحبها ويرعاها . وأشعلت الفتاة عودا رابعا ، فسطع النور مرة أخرى ، فتمثلت لها جدتها تشع نورا وحنانا . فصاحت الطفلة : « جدتاه ، خذيني معك ، سوف تذهبين إذا ما خبا نور الثقاب ، وتزول طيفك الحبيب مثلما ذوت النار الدافئة ، والأوزة الشهية ، وشجرة عيد الميلاد » ، وأقبلت على الثقاب تشعله كيلا تذهب جدتها ، فالتهب بنور أسطع من الشمس وضحاها ، وتمثل لها جدتها أبهى مما كانت وأجل . ثم أقبلت الجدة على الطفلة فاحتضنتها ، وطارت بها في عالم من البهاء والسرور ، وحلقت بها في السموات العلى ، وحملتها من الأرض حيث لا برد ولا جوع

غير أن الطفلة كانت تجلس في ركنها ، مستندة إلى الحائط وقد احمرت وجنتاها ، وانفجرت شفتاها عن ابتسامة سعيدة . هناك كانت ترقد أبيسها القرفصاء ، وقد احترقت علبة من ثقابها ، فقال الناس : « لقد أرادت أن تدفىء نفسها » وما علم الناس أي جمال رأت ، ولا بأي احتفال حملت إلى السماء ليلة العيد ...

س . ع

دفاع عن البلاغة

للأستاذ أحمد حسن الزيات بك

كتاب يعرض قضية البلاغة العربية أجل معرض ويدافع عنها أبلغ دفاع فيذكر أسباب التنكر للبلاغة ، والعلاقة بين الطبع والصنعة ، وحد البلاغة ، وآلة البلاغة . . . الخ .

من فصوله المبتكرة : الذوق ، والأسلوب ، والمذهب الكتابي المعاصر وزعماؤه وأتباعه ، ودعاة العامية ، ودعاة الرمزية ، وموقف البلاغة من هؤلاء وأولئك . . . الخ

يقع في ١٩٤ صفحة وثمنه خمسة عشر قرشا عدا أجرة البريد

وحي الرسالة

فصول في الأدب والنقد والسياسة والاجتماع

والقصص

الأستاذ أحمد حسن الزيات بك

طبع طبعاً أنيقاً على ورق صقيل وقد بلغت عدد صفحاته أربعمائة صفحة ونيفاً

وهو يطلب من إدارة الرسالة ومن جميع المكتبات وثمنه أربعون قرشاً عدا أجرة البريد

سكك حديد وتلغرافات وتليفونات الحكومة المصرية

لكن في علم الجمهور أنه طبقا لنصوص عقد الاشتراك لا يجوز استعمال التليفون لغير المشترك ومستخدميه وعائلته إلا إذا حصل على تصريح كتابي من المصلحة وعليه أن يلصق في مكان ظاهر صورة من هذا التصريح بجوار العدة التليفونية لاطلاع من يهمه الاطلاع عليه من الجمهور ومندوبي المصلحة .

فالرجا لمن يرغبون من حضرات المشتركين الحصول على التصريح المشار إليه أن يتقدم للمصلحة بطلب كتابي للنظر في أمر إعطائه التصريح الخاص باستعمال التليفون للجمهور حتى لا تضطر المصلحة لتطبيق نص البندين ١٦ و ١٩ من عقد الاشتراك .

مطبعة الرسالة